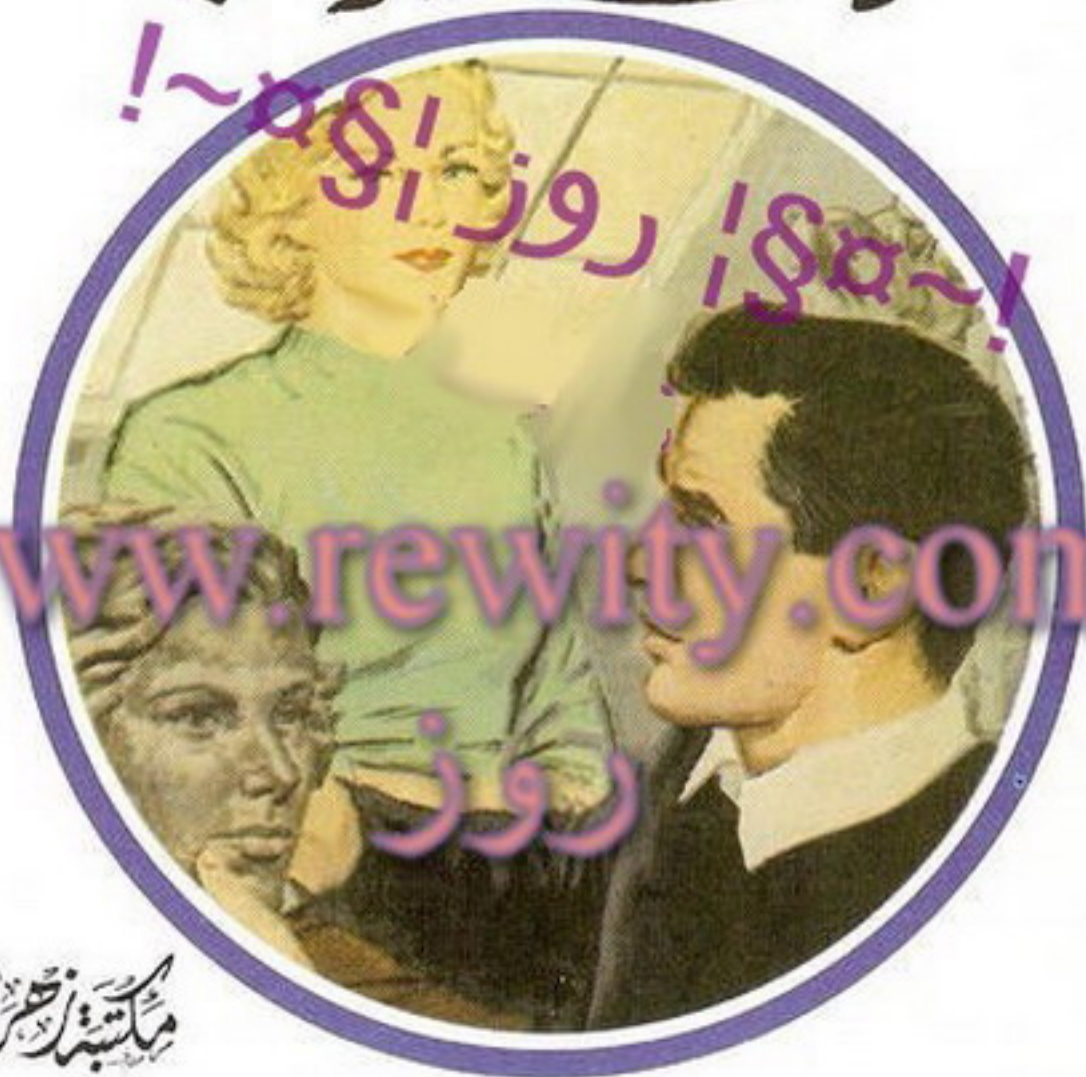


روایات رومانسیہ عالمیہ
عبیر



فیولیت وینسیر

جسائیرہ!



مکتبہ نثریہ

روايات رومانسية عالمية عبير

حائرة!

عندما

تلتقي فتاة بريئة في الحادية
والعشرين من عمرها رجلاً يقارب الأربعين .
هل الحب هو ما تتطلع اليه ، ام اشباح الماضي التي
تجد نفسها مضطرة لمواجهةها؟ احبته من النظرة الأولى
وقبلت ان يتزوجها ويأخذها الى احدى جزر البحر الكاريبي .
واكتشفت هناك ان الفنان جون تريكارل .. رجل معذب يطارده
شبح زوجته الراحلة **جوانا** .. المرأة الساحرة التي ما زال
اختفاؤها المفاجيء يكتنف الجزيرة بالأسرار ... ثم هناك
ابنة عمها بولا ، ذات الشخصية الشرسة والجمال المماثل
... والتي تؤكد لها باستمرار علاقتها السرية
بجون . فلماذا اذن تزوجها هي ، ولم
يتزوج بولا ؟

مكتبة زهر

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٧٨٦٤١٨

١- عمتها المتسلطة... ولقاء الفنان

وقفت تينا مانسون تتأمل ذلك الشاطئ الجميل وطيور النورس تحلق فوقه بهدوء وفرح. فالمكان مهجور في الشهر الأول من فصل الربيع، بعدما كان يعج بالعائلات التي تحضر معها مأكولاتها وتمضي النهار بكامله في السباحة واللعب والراحة. وابتسمت تينا بارتياح ظاهر لأنها تحب الشاطئ في وضعه الحالي، بعيداً عن الضجيج والفوضى واصوات السابحين والسابحات. انه يوم اجازتها الاسبوعية الذي تمضيه في الراحة والتأمل بعد عناء الاسبوع والجلوس عدة ساعات في اليوم وراء الآلة الكاتبة في احد مكاتب المحامين المحليين. هنا تستريح من ازعاج العمل ومن عمتها مود وذلك البيت القديم الموحش في شارع دولسي.

وما ان همت بالسير نحو الماء، حتى سمعت صوتاً يقول لها:
«قفي، ارجوك! لا تتحركي! قفي كما انت، تتأملين البحر وكان
تحقيق احلامك سينتم على الجانب الآخر من هذا الافق الواسع».
نقدت الطلب بطريقة لا شعورية، مع ان دهشتها امتزجت بشيء
من الاهتمام وحب الاستطلاع. فهي لم تسمع من قبل صوت رجل
يوحى بمثل هذه القوة والنفوذ، مع انها تعرف تماماً ان الاصوات لا
تعكس دائماً الشخصية الحقيقية لأصحابها وقد تؤدي في كثير من
الاحيان الى خيبة امل مريرة. غطت قسماً من وجهها خصلة من
شعرها فلم تمد بدأ لابعادها ولم تتحرك، لأنها احسّت بلذات الرجل
برسمها. فمن عادة بعض الفنانين المجيء الى شاطئ تشورلي بين
الحين والآخر لرسم الجمال الطبيعي الذي يجذب عدداً كبيراً من
شبان لندن وشاباتنا. وسمعت الرجل يقول:
«شكراً جزيلاً لك. يمكنك ان ترتاحي الآن».
الآن ان اعصاب تينا توترت بدلاً من ان ترتاح، فليس من عادتها
ان تحدث اشخاصاً غرباء. واحسّت بان الرجل يقترب منها،
فنظرت بسرعة الى الوراء وراحت تتأمله بدقة وروية. رجل طويل
القامة، نحيف الجسم، منحنى شمس الربيع لونا برونزياً جذاباً.
شعره كث خطه الشيب الجميل في بعض ارجائه، ووجهه يدل على
انه سافر كثيراً وشاهد الكثير. فمه يوحى بالحزن والأسى،
وبالسخرية التي قد تكون لاذعة ومؤذية. وابتسم فجأة فبدا اصغر
سناً واقل حزناً وسخرية، وقال:
«الكاريكاتور هوايتي. انظري الى نفسك كما يراك شخص آخر.
فالمرايا تكذب، والكلمات لا تحمل لنا الا المعاني التي نريدها منها».
تأملت صورتها بتمعن ثم ضحكت وقالت:
«اني ممتنة جداً لأنك لم تقس عليّ كما يفعل رسام الكاريكاتور عادة
مع ضحيته».
«من النادر ان اقسو على الشباب والحيوانات».

ووضع اوراقه جانباً ثم اخرج غليوناً و اضاف قائلاً:
«أسف لأنني لن اتمكن من تقديم سيكارة لك».
«انا لا ادخن، شكراً».

وسرّ تينا التي تبلغ الحادية والعشرين من عمرها، ان هذا الرجل
الفنان لم يعتبرها فتاة مرافقة او صبية صغيرة على رغم ملابسها التي
توحى بذلك... وعدم وجود اي مساحيق على وجهها او حمرة شفاه
على شفثيها. ثم اخذت تتساءل عن سبب وجود هذا الارستقراطي
الغريب في تشورلي دون سواها. وسمعتة يقول لها وكأنه قرأ
افكارها:...

«كنت ازور بعض الاصدقاء في منطقة قريبة. وتعمطت سيارتي
وانا في طريق العودة، فاضطرت للبقاء هنا ريثما يتم اصلاحها».
«من المؤكد ان تشورلي متبدو مملّة جداً بالنسبة اليك».
«انت ايضاً تجديتها مملّة، اليس كذلك يا صغيرتي؟».

ردت عليه بتحدّ وبلهجة لا تعرف النفاذ والمراوغة:
«انصوّر انك تعتبرني فلاحه صغيرة تحلم بالذهاب الى المدينة
الكبيرة بحثاً عن الشهرة، كعارضة او نجمة تلفزيونية او ما شابه
ذلك!».

«عندما نقف فتاة على الشاطئ ونحدق بالبحر كثيية وحائرة،
اشعر بأنها تبحث عن آفاق جديدة... عن حلم مثلاً، او عن
مغامرة».

ثم نظر الى الدخان المتصاعد من غليونه و اضاف قائلاً:
«عندما كنت صبيّاً صغيراً في كورنوال، كنت اتأمل البحر واحلم
بالسفر فيه الى اقصى شواطئه وابعده مرافقه».

نظرت اليه واحسّت بأن الرجل حقق امانيه. الا ان احدى تلك
الامنيات تحطمت على الصخور القاسية ولا تزال جروحها ظاهرة في
وجهه، مما يجعل من الصعب على الانسان الغريب ان يتمكن من
تحديد عمره. وتذكرت عمته التي تعيش معها منذ عشرين عاماً،

حاولت ان تقارن بين عمريهما. هل هو في الأربعين ام في الخامسة والأربعين؟ لا فرق في ذلك، فهو رجل لطيف المعشر لا يسعى الى الايقاع بها او تسلية نفسه نصف ساعة مع فتاة ريفية خجولة. «انا احب السفر ايضا. ولكن املي ضعيف جداً في ان اتمكن من تجاوز حدود الحلم والتمني».

«هراء! اننا نعيش في عالم فتح ابوابه للطامحين واصحاب الجراءة والمبادرة. يمكنك ان تسافري مع مجموعة من صديقاتك بدون ان يكلفك ذلك مبلغاً كبيراً من المال. بالمناسبة، هل المشكلة مادية ام ان لك ابوين يخافان عليك ويمنعانك من السفر؟».

احسست برغبة قوية لاطلاعه على سرها، ولكن كشف الاسرار يقيم روابط وعلاقة وثيقة... وهي ليست مستعدة لاقامة مثل هذه العلاقة مع رجل غريب غامض. وشعرت بأنه سيعود عند افتراقها الى حياة تختلف تماماً عن حياتها. وبدأت ذكرى حديثها تخف كال دخان الذي كان يتصاعد من غليونه. الا انها لن تنسى بسهولة، وسوف تتألم... كثيراً... عندما تتذكر مستقبلاً انها فتحت قلبها في هذه البقعة المهجورة لرجل ذي عيني زرقاوين وندب في ذقنه. وصعقت، عقلا وعاطفة، لمثل هذه الافكار التي تضج في رأسها بسبب رجل... فهي كانت دائماً تعجب الرجال في تشورلي اشخاصاً عاديين لا يثيرون اهتمامها ومشاعرهم، كما ان عمتها مود لم تشجعها ابداً على الاهتمام بهم او حتى الانتباه الى كونهم... من الجنس الآخر. وتطلعت الى طائر يحوم فوقها قائلة:

«امي واي متوفيان. فقدتها قبل ان ادخل السنة الثانية من عمري، وتولت عمتي العزباء رعايتي والاهتمام بي منذ ذلك الحين. اعتقد... اعتقد ان عمتي مود متشدة الى حد ما. اعني... اعني...».

قاطعها بهدوء قائلاً:

«يمكنني تصور وضعك على حقيقته».

نظرت اليه تينا بشموخ وكأنها ندمت على ما قالت. انها لا تطلب شفقة احد... ولكن لم تكن هناك شفقة في عيني ونظراته، بل تفهم رجل مجرب وذوي خبرة واسعة. وقال لها بوداعة، وكأنه طبيب نفسي يحلل ويعالج:

«يبدو ان ما من رجل احب عمك وأرادها، انها قاسية ولا تغفر لاحد... حتى لك».

وضع اصبعه على موضع الألم... لم يراوغ، لم يداور، بل تحدث عن صلب الموضوع دون مقدمات او كلمات منمقة. واعجبها... اعجبها جداً لأنه لم يستخدم المزاح او التهكم عندما حلل بهدوء وذكاء وضع فتاة يتيمة يقبدها شعور بالواجب والاحترام تجاه قريبتها ومربيها الأنانية والقاسية القلب. انها تعرف ان اخلاصها التام لعمتها يذهب سدى ودون تقدير او امتنان، وكأنه امر مفروغ منه بغض النظر عن واقع الحياة ومبادئ التعامل بين الناس. ولكنها لم تقدر حتى الآن على التخلي عن عمتها المسنة والمنزوية، التي لا صديق لها بين الرجال والنساء على حد سواء. وقال لها هذا الرجل الغريب الذي دخل حياتها فجأة، والذي سيخرج منها قريباً وبالسرية ذاتها: «من الخطأ جداً ان نحرمي نفسك الانطلاق الى آفاق اوسع اذا كانت هذه العمة تحبك فعلاً وتهتم بمصيرك. ليس كافياً ان تأتي الى هذا الشاطئ كي تحلمي ساعة. حاولي على الأقل تأمين رحلة الى الخارج لبضعة ايام. ام ان عمك تعتبر ان جميع الغرباء والأجانب غير جديرين بالثقة او لا يؤتمن جانبهم؟».

ابتسمت وهزت كتفيها. تأمل وجهها بعناية وسألها بهدوء:

«كم عمرك بالضبط؟».

من المؤكد انه يتصورها في سن المراهقة والا لما كان وجهها هذا السؤال. ابتسمت بنعومة واخبرته انها في الحادية والعشرين، فعاد يسألها:

«ماذا يحدث عندما تريد الزواج؟ اعتقد ان هذا الموضوع وارد

في تفكيرك، اليس كذلك؟»

«على الهامش فقط».

ثم عادت الجديّة المهذبة الى وجهها الجميل الساحر، وازدادت
قائلة:

«اسمع، اليست هذه محادثة غريبة الى درجة كبيرة بين شخصين
لا يعرفان بعضهما؟ انا متأكدة انك غير مهتم فعلاً بمشاكلي
ومصاعبي».

«حديثنا يشبه الى حدّ ما فصلاً من قصة او رواية. اننا نتحدث
هكذا لأن سفيتينا التقنا صدفة في عرض البحر، ولأنني التقطت
اشارة استغاثة. وبما ان سفيتني اكبر واقوى، فبإمكانني ان احاول
توجيهك الى الشاطئ الآمن. انك غارقة في هذه المشكلة حتى
اذنيك، اليس كذلك يا صغيرتي؟ يجب ان تخرجي من هذا السجن
الكبير قبل ان تصبحي نسخة بائسة وجافة عن هذه العمة. صدقيني
أنك قد تصبحين هكذا ان لم تفعلي شيئاً هاماً وجدياً قبل فوات
الآوان».

ارتجف جسمها وتأثرت. نعم، انها تريد الخروج من سجن
عمتها طالما انه يمكنها ذلك. ولكن عمتها ليست امرأة قوية البنية،
شديدة الساعد. فهي الآن في المستشفى تنتظر نتائج فحوصات طبية
اجرتها خلال اليومين الماضيين، وقد تضطر على ضوئها الى اجراء
عملية جراحية خطيرة. لم ترد عمتها الذهاب الى المستشفى، ولكن
الطبيب اصرّ على ذلك. وتذكرت تينا بتأثر بالغ كلمات عمتها
القاسية وصراخها المزعج المؤذي:

«انك انانية كوالدتك! لا تريدان العناية بي! لا يهمك سوى
الخروج من البيت، السهرات، اللهو، البحر...».

قتل والد تينا بحادث سيارة، ومنذ ذلك الحين دأبت عمتها على
اهانة والدتها ووصفها بكلمات قاسية ولاذعة. فلم يعجبها ابداً ان
يتزوج اخوها امرأة جميلة جداً وتصغره سنّاً الى تلك الدرجة...

«يجب ان اعود الى البيت. يبدو ان المطر سينهمر خلال فترة
وجيزة».

سار معها وراح يتحدثها عن جزر الهند الغربية حيث عاش فترة
طويلة من الزمن. واخذ يصف لها بالتفصيل جزيرة تدعى سانت
مونيك ويمجرد وصولها الى ساحة البلدة، بدأ المطر الخفيف يبلل
رأسيهما. وقالت تينا لنفسها انه لقاء مفاجيء وسيتتهي سريعاً، ولكنه
سيظل في ذكراها فترة طويلة جداً. ثم ابتسمت وقالت له:

«سرّني جداً التحدث معك. وحتى لو لم تسنح لي فرصة مشاهدة
سانت مونيك، فاني سأعرف دائماً القليل عنها نتيجة لشرحك
المفصل والممتع».

«وانا ايضاً يا فتاتي الصغيرة الضائعة، تمتعت بحديثك الى درجة
كبيرة. وتذكرني ما قلته لك، لها حياتها ولك حياتك. لا تهدي وقتاً
ثميناً لن تحصل عليه مرة اخرى. فترة الشباب والنضارة قصيرة
جداً... وثمينة جداً».

«هل لي ان اعرف اسمك؟».

ابتسم واجابها بسؤال مرح:

«وهل ستسنييني ان لم يكن لديك بطاقة ملائمة تعلقينها على
صدري؟».

ازاحت خصلة من الشعر غطت عينها ثم هزت رأسها وقالت:

«بدا غريباً ان نتحدث عن امور عدة ولم...».

قاطعها بهدوء قائلاً:

«اسمي جون تريكارل».

«انت؟ انت جون تريكارل النحات المشهور؟».

ابتسم الرجل وهو يهز رأسه، ثم سأها:

«هل ستخبريني عن اسمك، ام انني سأذكرك كفتاة الشاطئ
في تشورلي؟».

اخبرته اسمها وسرها انه سأها. ثم امسك بيدها وشدها قليلاً

وهو يقول:

«وداعاً يا تينا».

وسارت عبر ساحة البلدة دون ان تلتفت وراءها. لأن وجهه أصبح محفوراً في عقلها... وقلبها...

اثناء وجود عمته في المستشفى، اقامت تينا مع جيرانها الطيبين والبعيدين كل البعد عن التعقيد والمشاكل النفسية. الابنة كيتي شابة حيوية للغاية ولها عدد كبير من الاصدقاء، وتؤمن بأن على تينا الانطلاق من عزلتها والتمتع بحياتها.

«انك تربطين نفسك بسلاسل حديدية مع تلك العمة التي تتذمر وتشكو باستمرار، وبدون سبب. اقصى ما تفعلين هو حضور فيلم سينمائي مرة في الشهر. هذه ليست حياة لشابة مثلك. تعالي مساء الجمعة الى النادي الذي انتمي اليه، فهناك حفلة راقصة وانا سأعرفك على شاب يليق بك».

ابتسمت تينا وقالت:

«شكراً يا كيتي، ولكن عليّ زيارة عمتي يوم الجمعة».

«حسناً. يمكنك ان تأتي الى النادي بعد زيارتها».

«سأرى... سأرى».

وكانت تعرف انها لن تذهب الى النادي، فهي تظن انه ليست لديها تلك الجاذبية وذلك البريق اللذان يعجب بهما الشبان ويريدون وجودهما في صديقاتهم. انهم يريدون فتيات متحررات سمرجن ويضحكن ويستخدمن كلمات معينة ويلقبن نكات غير بريئة. وهي ليست منهن.

«هل تعلمين انني افكر بالوقوع في غرام الشاب الذي اخرج معه حالياً؟».

ضحكت تينا وقالت لها:

«لم اعرف ان على الفتاة ان تفكر او تخطط للوقوع في الحب. فاما ان تحب او لا تحب».

«انك فتاة بريئة يا تينا. من المؤكد ان على الفتاة ان تفكر بهذه المسألة الهامة. فالغيبه الفاشلة وحدها هي التي تسمح لنفسها بالسقوط على ركبتيها امام اول رجل او اي رجل».

ثم ابتسمت وسألته:

«هل اعجبك اي رجل بشكل خاص؟».

هزت تينا رأسها وهي تتذكر تفاصيل الدقائق المحدودة التي امضتها مع صاحب العينين الزرقاوين وصوته العميق والدافئ عندما قال لها وداعاً. شكرت جارته على اهتمامها بها وتوجهت الى البيت للقيام ببعض الاعمال المنزلية. وفجأة دق الباب، ففسارعت نبضات قلبها قلقاً على عمته التي ستجري لها عملية جراحية. ركضت نحو الباب الخارجي وفتحته فوجدت رجلاً ضخماً الجثة وامراً ترتدي معطفاً ثميناً يقفان امامه. لم تعرفهما ولكن وجه السيدة كان مألوفاً الى حد ما. وقالت السيدة وهي تبتسم بلهفة وهامة:

«من المؤكد انك تينا الصغيرة. انا عمك سارة وهذا عمك سيدني».

ساره هتون! شقيقة والدها وعمتها مود، التي تزوجت هذا الرجل الثري سيدني وذهبت لتعيش معه في برمنغهام.

«لم تخبرك مودي بأنها كتبت لي؟».

هزت تينا رأسها حائرة مذهولة. اختلفت عمتها منذ زمن طويل، عندما علمت سارة اثناء جنازة والدها بأن الراحل اورث البيت واثاثه لشقيقتها مود، وكانت هذه اول مرة تأتي فيها لزيارة اختها.

«الن تطلبي منا الدخول يا ابنة اخي؟».

«طبعاً... طبعاً».

وتنحت تينا جانباً فدخلا وقالت العمة سارة لزوجها بمجرد وصولهما الى منتصف القاعة:

«لم يتغير هذا البيت مطلقاً يا سيدني. ورق الجدران ذاته و...».

رباه! يبدو ان مود لا تزال تحتفظ بهذه الخزانة الصغيرة القديمة! والصحون والفناجين اياها ايضاً!.

وفيا كانت تدخل غرفة الجلوس ضاحكة بشيء من السخرية الواضحة، سألتها تينا بتهذيب بالغ:

«هل احضر لكما فنجانين من القهوة؟ لن يتأخر اعدادهما طويلاً».

«شربنا قهوتنا في الفندق الذي سنقيم فيه خلال هذين اليومين». وخلصت سارة معطفها فيما حمل زوجها سيجاره الضخم وهو ينظر حوله باحتقار بحثاً عن منفضة. نظرت اليه تينا بانفعال وقالت له فيما كانت تتوجه بسرعة الى المطبخ.

«ساحضر لك صحناً صغيراً، يا سيد هتون».

ازعجتها هذه الزيارة المفاجئة ولم تصدق ان شقيقة العمة مود حضرت من بيرمنغهام لمجرد قلقها على اخنها وتشوقها لرؤيتها. فلو كانت كذلك، لسألت عنها بدلاً من التحدث عن البيت. وزاد من انزعاجها وانقباضها انها سمعت سارة تقول لزوجها ان مود حافظت على البيت وتولت صيانته بدقة، بحيث ان سعره الحالي يزيد ثلاث مرات عما كان عليه بعد وفاة والدها مباشرة. وضعت تينا الصحن قربه فنظر اليها بطريقة شعرت معها برغبة في صفعه. انه يظن نفسه رجلاً جذاباً يصعب على النساء والفتيات مقاومة اغرائه وسحره. ابتسم لها وقال:

«اذن انت ابنة جورج مانسون الصغيرة! انك كبيرة وناضجة وتهتمين بالبيت اثناء مرض العمة الحبيبة!».

وجلست سارة قرب زوجها وهي تقول:

«مسكينة مود! حزنت وتأثرت كثيراً عندما استلمت رسالتها وعلمت بمرضها. صحيح اننا لم نلتق منذ زمن بعيد، ولكن الخلافات العائلية يجب ان تنسى في وقت كهذا».

ثم ابتسمت وقالت لتينا مازحة:

«ازاهن بأنك مجدين صعوبة بالغه في العيش معها، اليس كذلك؟».

ردت تينا باخلاص حقيقي:

«اني معتادة على عمتي مود، يا سيدة هتون. هي التي ربنتي ورعتني منذ وفاة امي وابي، وانا اعتبر نفسي مدينة لها الى حد كبير». تحدثت سارة بتهكم عن شقيقتها ثم سألت تينا بسخرية عمالة:

«وانت، ماذا تعملين يا تينا؟ نادلة في احد المقاهي؟».

«اني اعمل كسكرتيرة في مكتب احد المستشارين القانونيين». «المجالات ضيقة جداً في تشورلي، مع انها بالتأكيد افضل بكثير مما كانت عليه عندما كنت انا شابة يافعة. في بيرمنغهام، تلاحظين الفرق يا تينا. نحن نملك هناك مطعماً ومقهى، ويمكننا ان نجد لك عملاً جيداً معنا. تساعدن في تقديم طعام الغداء، وتولين اثناء المساء مسؤولية المحاسبة وتلقي الطلبات. ونعرف هناك عدداً كبيراً من الشبان اللامعين الجذابين، الذين يملك كل منهم تقريباً سيارة خاصة به».

ردت عليها تينا بشيء من الحدة والعصبية:

«انا لا افكر بمغادرة تشورلي، يا سيدة هتون. اني مسرورة جداً بوظيفتي الحالية».

«هكذا اذن؟ واذا تركت عممتك مودي تشورلي، فسوف تتركينها انت ايضاً؟».

جف لعابها في فمها، اذ صبح ما توقعته من هذين الشخصين المزعجين. انها يريدان البيت، او المال الذي سيأتي به فيما لو طرح للبيع. ولما لم تعلق بشيء على سؤال سارة، قالت لها الضيفة الثقيلة:

«سنذهب الآن لتناول الطعام في الفندق ونزور مود في المستشفى، ثم نعود الى هنا حيث امتع نظري بهذا المكان الذي ولدت فيه وعشت في ارجائه عدداً من السنين. اني متعلقة به عاطفياً!».

ولما التفتها في غرفة عمته مود وتحديثوا قليلا، اوما اليها سيدني هتون قائلا:

«لتركها تثرثان قليلا، فلديها الكثير للحدث عنه».

وفي الممر المؤدي الى قاعة الانتظار، نظر اليها باعجاب واضح وقال لها بصوت منخفض نسبياً وكأنه يفرها:

«هل فكرت جدياً بالانتقال الى الشمال والاستقرار هناك؟».

«اني لا اعتقد ابداً ان عمتي مود تريد مغادرة دولسي. انها معتادة على تشوري وجوها الهادي».

تجاهل جوابها الجاف وقال لها مبتسماً:

«يجب ان تعرفي انك ستكونين مسرورة جداً اذا عملت في مطعمي».

ثم غمزها بعين ساخرة واذاف قائلا:

«اني كريم جداً مع الاشخاص اللين... اللين يعجبوني».

اثار كلامه ومغزاه الخسيس اشتزازها وغضبها. كيف يمكنها ان تعمل مع شخص كهذا، اوريا ان تعيش معه تحت سقف واحد؟ لا، ان الفكرة مرفوضة شكلاً ومضموناً. كذلك شعرت برغبة جاعحة في حماية عمته مما يخطط له هذان الشريران اللذان يطعمان بيتها وبماها. الا انها قررت تأجيل البحث في هذا الموضوع الحساس لحين انتهاء عمته من مشكلتها الصحية الطارئة. ولما زارتها يوم الجمعة وتبين لها انها اصبحت في حالة جيدة، جلست قريبا وقالت لها بهدوء:

«احذري من شقيقتك وزوجها يا عمتي. اعتقد انهما لا يرغبان بشيء سوى الاستيلاء على المال الذي ستحصلين عليه فيما لو بعت منزلك».

خيم الصمت بين مود مانسون وابنة شقيقها اللتين تختلفان كثيراً شكلاً وميولاً. وفجأة، عبست السيدة المسنة وقالت بمرارة وغضب:

«هذه كلمات جميلة تقولينها عن اختي وصهري. اعتقد انك كنت

تأملين في ان اموت كي يعود اليك الجزء الأكبر من حصتي. يؤسفني يا عزيزتي ان اقول لك ان صحتي جيدة جداً، بعكس ما كنت تريدن وتتوقعين».

ذهلت تينا واحمر خداهما انقباضاً وتأثراً. احست بأن كلمات عمته اشد ايلاماً من اي شيء آخر يمكن ان يقال لها. لو صفعتهما على خديهما، لكان التأثير اقل ازعاجاً من هذا! وسمعت عمته تقول لها مرة اخرى:

«جففي دموع التماسيح من عينيك. قررت منذ يوم دخولي الى المستشفى ان اكتب الى سارة لاطلعهما على رغبتني بان ترثني هي، لا انت، في حال حدوث مكروه لي. انك لتحاولين اقناعي باخلاصك وتفانيك، ولكن سارة تقول انك تتظاهرين وتراوغين. قالت لي انك غضبت يوم الأحد الماضي عندما ارادت التجول في ارجاء البيت لاستعادة ذكرياتها الحلوة عنه».

«انها تريد تخمين ثمنه فقط، فهي لا تحبه ولا تابه له اطلاقاً».

شرقت بدموعها وسألت عمته فيما كانت تقف استعداداً للرحيل:

«هل ستيبعين المنزل يا عمتي وتنتقلين الى بيرمنغهام؟».

نظرت اليها مود مانسون بعينين قاسيتين وسألتها بعصبية:

«وهل من اعتراض لديك يا آنسة؟ هل من الخطأ ان افكر بما سيحدث لي بعد ان توقعي في حباتك رجلاً مستأاحق يتزوجك ويذهب بك بعيداً عني؟ اعرف انك تنتظرين ذلك بفارغ الصبر... شأنك في ذلك شأن جميع الفتيات الغيبات... ومثل تلك الحقيرة امك!».

تحملت تينا طوال سنوات عديدة الكلمات القاسية والمهينة التي كانت مود تصف بها امها الراحلة التي لا تعرفها. ولكنها احست فجأة بأنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد، وبخاصة بسبب ازدياد المارة تجاهها شخصياً. ارتجف جسمها ضيقاً وانقباضاً، وسألت

«انك لم تحبيني ابداً يا عمتي، برغم وجودي معك منذ طفولتي وطوال هذه السنوات. كنت اعرف ذلك منذ البداية، ولكن اخلاصي وامتناني لك ارغماني على محاولة تحمل ذلك. جميع الاطفال يحتاجون الحب والحنان ويتوقعونها، ولكنك حرمتني منها لانه لم يعجبك ان يقع شقيقك في الحب ويتزوج. ولانني كبرت واصبحت اشبه امي، بدأت اتلقى طعنات مماثلة منك. لا يا عمتي، لن انحمل المزيد... ولن اذهب الى بيرمنغهام لأعمل خادمة لدى السيد والسيدة هتون».

«لا اعرف مكاناً آخر يمكنك الذهاب اليه. ولكن اذا كان هذا شعورك، فافعلي ما تريد. لقد بذلت اقصى ما باستطاعتي لاسعدك واهتم بك. ضحيت بأفضل سنوات حياتي لأربي طفلة امرأة أخرى...».

قاطعتها تينا بهدوء قائلة:

«اني ممتنة لايوائني والاعتناء بي طوال هذه السنين، ولكنني لا... لا اقدر على الذهاب مع شقيقك. لو قررت انت يا عمتي البقاء هنا، لكان الأمر مختلفاً...».

«اني ذاهبة الى بيرمنغهام. سيدني يعرف شخصاً سيعطيني سعراً جيداً لممتلكاتي في تشورلي».

تأكدت تينا ان عمته عاقدة العزم على البيع والانتقال شمالاً. ومع انها لم تقرر بعد ماذا ستفعل لاحقاً، الا انها صممت على امر واحد بعزم واصرار... انها لن تذهب مع سارة وسيدني، ولن تعمل لديهما، او حتى ان تعيش في منطقة واحدة معهما!

خرجت تينا من المستشفى حزينة ومتأثرة، وتوجهت فوراً الى مطعم صغير في ساحة البلدة حيث احتمت من المطر الخفيف وطلبت فنجاناً من القهوة. وفيما كانت تنظر الى الخارج شاردة الذهن تفكر بحاضرها ومستقبلها، شاهدت الفندق الوحيد في تشورلي حيث

تقيم سارة وزوجها... وحيث اقام جون تريكارل. وتذكرت ما قاله لها ذلك الرجل، واحسنت بأنه لو كان هنا لكان اثني على قرارها بالوقوف في وجه عمته المتسلطة. كان سيقول لها انها حرة في الذهاب الى حيثما تريد، وان لديها الآن فرصة يجب اغتنامها. حرة ان تترك تشورلي... وتذهب الى لندن.

تحمست... اثارها الفكرة... لو كان بإمكانها الذهاب الان الى لندن، لذهبت فوراً ودون تردد. وتذكرت يد جون تريكارل التي ضغطت على يدها عندما شجعها على الانطلاق من عزلتها واحلامها. وتذكرت الاصبع الثالث في يده اليسرى والخاتم الذهبي الذي كان يزينه. انه خاتم زواج واسم زوجته جوانا ليزابيث، وهي ابنة العقيد الراحل هيليارد كاريش، قرأت عنها في كتاب عن المشاهير في بريطانيا.

وراحت تتذكر المعلومات الاخرى التي قراتها في ذلك الكتاب. جوانا كاريش تزوجت جون تريكارل عندما كانت في العشرين وهو في السابعة والعشرين. وبعد عامين انجبت له طفلة سميت ليزابيث. وفي السنة الثالثة، توفيت جوانا اثناء رحلة بحرية مع بعض الاصدقاء قرب شاطئ سانت مونيك. ومع انها توفيت قبل ثمانين سنوات، الا ان اثار الحزن لا تزال باقية بوضوح على وجهه. انه يفتقدها كثيراً، وقد لا يتمكن ابداً من حب امرأة اخرى. كانت جوانا جميلة جداً، ومرحة، وتضج حيوية ونشاطاً. ولهذا السبب قال لها ان فترة الشباب قصيرة وثمينة ويجب عدم اضياعها سدى وهدرأ... وهدرأ...

وسافرت تينا الى لندن بعد اسبوع واحد وهي تحمل معها توصية رائعة من مديرها وعنوان مؤسسة كانت تعمل فيها احدي صديقاتها. وقررت في اليوم التالي لوصولها زيارة صالة العرض التي يعرض فيها جون تريكارل بعض اعماله البرونزية. وقالت لنفسها وهي تتبرج وتتزين امام المرأة:

«لن يكون هناك، يا صغيرتي! انه بعيد، بعيد جداً، وانت ذكرى عابرة منسية».

وشاهدته داخل المعرض الراقي... فشبهت بصوت منخفض. وكأنه سمعها... اعتذر من الشخص الذي كان يتحدث معه واقترب منها قائلاً:

«فتاة الشاطي؟ تينا مورتن؟».

«مانسون».

صافحها بحرارة وقال لها مبتسماً:

«انها لمفاجأة جميلة! هل اخذت اجازة من عملك لتزوري معرضي؟».

هزت رأسها واجابته بتلثم:

«تركت... تركت تشوري... نهائياً».

«ماذا؟ ماذا تقولين؟».

وقبل ان يجيبه، سارع الى القول:

«قطعت سلاسلك وتحمرت من قيودك؟ عظيم! عظيم!».

ووضع يده على كتفها وكأنه يشجعها على اخباره بما حدث.

وهكذا كان... اخبرته عن سارة وسيدني، وعن كافة التفاصيل. ثم ختمت زوايتها بالقول:

«وجدت في نهاية الامر انه يستحيل علي البقاء مع عمتي مود».

اعتقد انها كانت تريد ابقائي معها لمجرد... لمجرد...».

قاطعها بهدوء وكأنه يقرأ افكارها:

«لمجرد التسلسل عليك والانتقام من العالم والحياة عن طريق

تعذيبك. فتفكيرها الضيق وقلبها الحاقد يحملانها على لوم الجميع،

باستثناء نفسها، لأنها فشلت في الحب. اني اتمنى لك يا تينا حظاً موفقاً

في خطواتك هذه».

ثم غمزها بعينين جميلتين جذابتين وقال لها باسمها:

«يجب ان نحتفل بتحريك من تلك العجوز الانانية المعقدة...».

فما رأيك بتناول الغداء معي؟».

احمر وجهها خجلاً... وسعادة، وقالت له:

«يسرني ذلك جداً!».

«عظيم، هل شاهدت كل ما كنت تريد من مشاهدته في

المعرض؟».

«ليس بالقدر الذي اريد. هل تسمح باطلاعي على تاريخ كل

قطعة وما اوحى لك بها؟».

ضحك وسألها بعد ان لاحظ لهفتها وحماستها:

«وهل انت مهتمة الى هذه الدرجة يا صغيرتي؟».

ابتسمت برقة ونعومة وقالت:

«طبعاً. انا لا اعرف الا القليل القليل عن فن النحت، ولكن

منحوتاتك مليئة بالحياة وروعة الابداع. خذ مثلاً على ذلك، تلك

المسماة القبلة».

ضحك بدمائة ووداعة وقال:

«ما من رجل له عقل وقلب يمكنه مقاومة هذا النوع من الاطراء

الذي يأتيه من شابة جميلة مثلك. تعالي اذن، لنبدأ مع هذا النمر

البحري الذي ينقض على فريسته في مياه البحر الكاريبي...».

تجولاً ساعة كاملة في ارجاء المعرض. وحاول عدد كبير من

الشخصيات الاجتماعية والسياسية الذين يزورون المعرض اقناعه

بالانضمام الى دوائهم، الا انه صدهم جميعاً بتهذيب فائق وظل

برفقة تينا... ممسكاً بذراعها وغارقاً معها في احاديث مختلفة. وفجأة

نادته امرأة انيقة بغنج يمتزج بلهجة الامر. كانا آنذاك قرب الباب

الزجاجي للمعرض. فتحه بسرعة واخرجها معه وهو يقول لها

بصوت منخفض:

«تعالي! اسرعي!».

وخلال دقائق كانا يجلسان في سيارته الانيقة وينطلقان نحو الجانب

الغربي للمدينة، حيث سيتناولان الغداء في احد ارقى المطاعم

الموجودة هناك. قررت تينا الخروج عن الصمت فقالت له بهدوء:
«كنت اعتقد يا سيد تريكارل انك ستكون حالياً في سانت
مونيك».

«اضطرتني عدد من الاصدقاء وبعض الاعمال للبقاء هنا اكثر مما
كنت انوي».

وتوقف لحظة ثم ابتسم و اضاف قائلاً:
«كان ذلك من حظنا، اليس كذلك؟ فلولم اتأخر، لما كنا النقيض».

٢ - حب في الأفق

«مضى على وجودي هنا زمن طويل، وسأعود الى سانت مونيك
خلال عشرة ايام. وعدت ابنتي ليزا بأن اعود الى البيت عندما تبدأ
عطلة الربيع. انها في مدرسة داخلية ولا نرى بعضنا كثيراً».
كان يتحدث بمحبة وحنان عن ابنته التي يبدو انه قلق عليها.
سألته بهدوء:

«البيت مدرستها في الجزيرة؟»
«لا، انها في باربادوس. انها بعيدة طبعاً، ولكنها توجد هناك مع
اطفال بريطانيين آخرين».

وتحول بسيارته الى طريق جانبي ضيق ووقفها امام المطعم الذي
يقصده. وقبل ان يفتح الباب للخروج من السيارة، التفت نحو

تينا وقال لها:

«اعتقد ان اقدامك على هذه الخطوة الهامة والبدء بحياة جديدة ومختلفة يجعلك في البداية متوترة الأعصاب الى حد ما. هل وجدت وظيفة جديدة؟»

هزت رأسها نفيًا، فيما كانت تتأمل فمه الجميل وتتسارع دقات قلبها وخفقانه. انها لا تعرف الآن ماذا يحدث لها بالنسبة لهذا الرجل، وهل ستحمل ذهابه بعيداً عنها بعد بضعة ايام! ...

«هيا، لنذهب ونتناول طعامنا».

جلسا الى طاولة يشرفان منها على حديقة غناء جميلة تغص بالزهور العطرة والمتنوعة. وبعد ان طلبا انواع الطعام المفضلة، نظر اليها بجدية وقال:

«يجب ألا يكون لديك اي شعور بالذنب او الندم لأنك تحررت من وضع لا يطاق او يحتمل. ثم، ألم تقرر عميتك بملء ارادتها ان تذهب شمالاً لتعيش مع اختها وصهرها العزيزين؟ انك لم تتخلي عنها بأي طريقة او باخرى. لا يمكنني ان اصدق انك من الاشخاص الذين يتخلون عن احبائهم. اني اتصور انك من اولئك الذين يضحون بانفسهم من اجل الآخرين. اليس كذلك، يا صغيرتي؟»

أدهشتها نظراته الجادة التي كانت تبعد عنها وتتخطاها الى شخص آخر يتحلل بمزايا مماثلة. ارادت ان تلمس يده وتقول له اشياء شخصية ومستحبة... ارادت ان ترجوه الا يدع الذكريات تؤلمه وتخرج مشاعره واحاسيسه... ارادت ان تقول له انها تعرف ان الذكريات وحدها ليست كافية، وان زوجته الراحلة احبته كما احبها...

«ما هو نوع الوظيفة التي تسعين للحصول عليها؟»
«اوه... اعمال مكتبية».

وقررت الاستمرار في هذا الموضوع، اذ انه يبعد تفكيرها عنه وعن هذا الانجذاب المفاجيء اليه. وازدادت:

«كنت اعمل في الطباعة والاختزال والاهتمام بالملفات والوثائق. واذا تمكنت قليلاً هنا في حفل السكرتارية، فقد احاول الحصول على وظيفة خارج البلاد. اعني...»

وضحكت ثم مضت الى القول:

«اعني ان هذه هي فرصتي لمشاهدة العالم... الآن بعد ان تحررت من قيودي».

«اعرف اثنين او ثلاثة من رجال الأعمال في لندن وربما تمكنت من مساعدتك في ايجاد وظيفة... آه، شكراً...»

ومد يده التي تحمل مبلغاً من المال نحو نادل كان يقترب منه. وبعد لحظات التفت نحو تينا، التي كانت تحقق به، وقال لها باسمياً ومازحاً:

«لا تخافي، فليست لدي اي دوافع او نوايا خفية».

«اوه، اعرف!»

واحمر وجهها خجلاً ثم ثم عادت نظراتها الى الدبوس الفضي وازدادت:

«انا لم اعن...»

«اللجنة على لساني!»

ومد يده نحوها. ترددت قليلاً ثم وضعت يدها الباردة في اليد الدافئة المنتظرة. شد على يدها وقال:

«من المؤسف ان يكون بعض الرجال احياناً قساة وعديمي الشعور. لم اتحدث منذ فترة طويلة مع انسانة طيبة وجميلة مثلك. اعذريني!»

اومأت برأسها علامة القبول، ولكنها كانت تفكر آنذاك بالعرض الذي قدمه لها سيدني هتون، وبما كان يتوقعه منها مقابل منحها تلك الوظيفة. وها هو رجل آخر يعرض عليها المساعدة. هل يمكنها

الوثوق به؟ يبدو انها غير قادرة على ذلك. وفي لحظة مجنونة سألت نفسها عن سبب اهتمام شخصية مشهورة ومرموقة مثل جون تريكارل بفتاة فقيرة لا اهمية لها مثلها!

«بماذا تفكرين؟»

«انك طبيب جداً معي يا سيد تريكارل. تمنحني وقتك في المعرض، تدعوني الى الغداء، تعرض مساعدتك لايجاد وظيفة...»

قاطعها مبتسماً:

«انك ضائعة وحائرة ووحيدة، كقطعة صغيرة. الا تعتقدين انني افعل الشيء ذاته لقطعة صغيرة؟»

ضحكت وارتاحت اعصابها. ابتسم مرة اخرى وسأها:

«هل تشائين الى البحر؟»

«ربما في وقت لاحق، اما الآن فاني مسرورة لوجود هذا العدد الكبير من المحال التجارية الرائعة.»

«وهل تركت قلبك في تشورلي؟ اعني، مع احد اولئك الشبان الياغبين؟»

ضحكت وقالت:

«اوه، لا، فانا لست من الطراز الذي يستهوي الشبان. اعني انهم يحبون الفتنة والسحر والجاذبية، ليس كذلك؟»

«هل هذا ما يحبون حقاً؟»

ثم ابتسم واذاف قائلاً:

«لم اعد ادري كيف يحس الشبان، فانا في التاسعة والثلاثين من عمري. هل تعتبرين هذه السن متقدمة جداً يا تينا؟»

«طبعاً لا!»

وبدت عليها الدهشة والخيرة. فهو ليس من اولئك الرجال الذين يخشون كثيراً من نتائج تأثير شخصيته على الآخرين، وعلى شخص لا اهمية له مثلها، وفجأة نظر اليها بفضول واضح وسأها:

«من اي نوع من الرجال تعتبريني يا تينا؟ هل تعتقدين انني حنون ولطيف؟ كريم؟ يفكر بالآخرين؟»

«نعم.»

ولم تتمكن من اضافة صفة اخرى وهي انها تعتبره انساناً غير سعيد في حياته. وسمعتة يقول لها موافقاً:

«صحيح، لدي كل هذه الصفات. معظم الرجال لهم مثل هذه الصفات... مع بعض التحفظات. ويمكن ايضا ان يكون الرجال قساة غير مباليين، ويحبون التملك والسيطرة.»

احمر خداهما قليلاً. هل يحذرهما من الوقوع بحبه لمجرد انه اظهر لها قليلاً من الاهتمام والحنان العابرين؟ وسألته دون ان تنظر اليه:

«هل تحذرن من الرجال الذين... الذين قد التقيهم هنا في لندن؟»

«اعذريني على هذه المحاضرة.»

وشرح لها بهدوء كيف ان بعض الرجال يفضلون الفتاة القروية الخجولة، وكيف ان بإمكانهم ايقاع الفتيات بحبائلهم مستغلين مشاعر الابوة لدى الصغيرات. ضحكت قليلاً وقالت له:

«شكراً على المحاضرة، ولكني لست طفلة لا تعرف كيف تفرق بين الحنان الحقيقي والتظاهر به.»

«لا يا عزيزتي، انك لا تعرفين. فانت مثلاً لست لديك اي فكرة عن سبب دعوتك الى تناول الغداء معي، وتمضية فترة ما بعد الظهر معي.»

اتسعت عيناها دهشة واستغرباً ولم تعرف ماذا تقول رداً على هذه الملاحظة غير المتوقعة.

ابتسم الرجل وقال لها:

«اريد ان اشترى بعض الهدايا لابنتي ليزا، وانت بالتأكيد تعرفين اكثر مني ماذا يروق لصبية في التاسعة من عمرها.»

ابتسمت بهدوء. قد يكون قاسياً، لا مبالياً ويجب التملك والسيطرة! ولكنه بالتأكيد لا يظهر هذه الصفات اليوم، وليس معها هي بالذات! لم يعد يهمها شيء بعد هذه اللحظة. فهو لم يطلب منها فقط ان تمضي فترة طويلة معه، بل ارادها ايضاً ان تشاركه في انتقاء هدايا لابنته التي يحبها كثيراً. وفيما كانا يتوجهان الى ساحة بيكادلي في قلب العاصمة البريطانية، سألته:

«هل تشبهك ليزا؟»

«نعم، انها تريكارل قلباً وقالباً. كانت كاللعبه الجميلة في سنواتها الاولى، اما الآن فهي طويلة القامة... وصبية كبيرة. لم اجد صعوبة في التصرف معها عندما كانت طفلة صغيرة، اذ كنت ادللها والاعبها. اما الآن فلها شخصيتها وافكارها الخاصة بها. آه من الفتيات! انهن على مدى الدهور السر الغامض بالنسبة للرجال!»

وابتسم لها فردت ابتسامته بالمثل، فيما كانت تجلس قربه كقطعة صغيرة تسعى الى الدفء والحنان... والحماية. وشعرت بأن الدماء تتصاعد الى وجهها وخافت ان تفضح مشاعرها امامه. وتذكرت كيف كانت وجنتا صديقتها كيتي تحمران، وعينا زميلتها في العمل فانسي تشعان بذلك البريق الخاطف، كلما كانتا تتحدثان عن هذا الشاب او ذاك الرجل. انها تلك القوة السحرية الغامضة التي تجذب الفتاة الى الشاب... انه الحب!

بعد جولة في بعض المحال التجارية اشترى خلالها جون اشياء عديدة لابنته، توجهوا الى شارع بوند ودخلا احد محال الجواهر. اشترى سواراً صغيراً وطلب من البائع ان يحفر له عليه ثلاث كلمات... الى ابنتي الحبيبة. ثم انتقل الى زاوية اخرى وابتاع سواراً ذهبياً ثميناً. امسك بيد تينا ووضعها حول معصمها بشكل طبيعي وعادي. شهقت وحاولت الاعتراض قائلة:

«سيد تريكارل! لا يمكنني...»

رد عليها مازحاً وكأنه يقلدها:

«آنسة مانسون! يجب ان تقبلي!».

«يجب ان اقبل؟»

اوماً برأسه علامة الایجاب وبدأ انه مصمم باصرار على اهدائها ذلك السوار. اهت نفسها بالنظر حولها، فيما كان جون يأخذ سوار ابنته ويدفع للبائع المبلغ المطلوب منه.

ومضت فترة ما بعد الظهر بسرعة شعرت تينا في نهايتها بتعاسة وانزعاج. فخلال دقائق متصل الى المكان الذي تقيم فيه وسيقول لها مرة اخرى تلك الكلمة المؤلمة... وداعاً! وتوقفت السيارة، فنظر اليها وسألها بهدوء:

«هل يهمك حضور معرض للرسم والحفر على الخشب؟»

تأملت مغيب الشمس دون ان تحببه او تنظر اليه. انتظرها لحظات ثم سألها مرة اخرى:

«هل يهمك ذلك يا تينا؟»

تسارع خفقان قلبها واحست بحرارة الدماء تسري في عروقها. انه يدعوها مرة اخرى لتخرج معه. ترددت لحظة ثم اجابته بكلمة واحدة... نعم.

«اذن، سأمر من هنا غداً في تمام الثانية عشرة ظهراً. نتناول الغداء معاً ثم نذهب الى المعرض... او الى اي مكان آخر ترغبين فيه».

«ان فكرة المعرض لا بأس بها على الاطلاق. شكراً لك يا سيد تريكارل على هذه الدعوة».

وضع يده على يدها فشعرت بأنها تذوب ولا تقدر على مقاومة ذلك السحر الذي يشدها اليه. وايقظها من احلامها قائلاً:

«وانك فتاة لطيفة ومهذبة جداً يا صغيرتي. انا الذي يجب ان اشكرك يا تينا على هذه الفترة الطويلة التي منحتني اياها اليوم».

خرج من السيارة بسرعة وفتح بابها ثم مد يده لمساعدتها على الخروج وهو يقول لها باسماً:
«سأراك غداً باذن الله، يا صغيرتي».

ابتسمت له وتوجهت بسرعة الى غرفتها في مبنى جمعية الشابات وهي تشعر بدفء صوته وسحره يثير في نفسها البهجة والسرور. لم تحلم ابداً في حياتها بان اي رجل في العالم يمكنه ان يمنحها مثل هذه السعادة.

وبدأت مرحلة جديدة في حياة تينا. كان كل يوم يمر يحمل لها اشياء مختلفة. زيارة معارض وحدائق عامة، جولات هنا ورحلات هناك، وعشاء على ضوء الشموع وفي اجواء موسيقية حاملة. واكتشف انها تحب الموسيقى، فأخذها لسماع احدى سيمفونيات بيتهوفن. ورافقتها في اليوم التالي لحضور مزاد علني للوحات الفنية والمنحوتات والتماثيل. واعربت تينا عن اعجابها بأحد التماثيل الذي يعود تاريخه الى القرن الثامن عشر، فقال لها:

«يمكن للنحات المبدع ان ينجز عمله باتقان تام ودون اي اخطاء اذا كان يرى وجه الشخص كاملاً. جوانا، زوجتي الراحلة، كانت رائعة الجمال وموضوعاً ساحراً للنحات والرسام».

ومع انه تحول بعد ذلك الى موضوع آخر، الا ان تينا لم تنس كلماته. تحدث عن جوانا دون انفعال او تأثر. ففي القصص والأفلام فقط، ينتهك الناس سرية حياتهم الغرامية. لم يقل مثلاً انها كانت اجمل مخلوقة تعرف عليها في حياته، وان قلبه... او معظمه... مات معها عندما ماتت... اكتفى بالقول انها كانت موضوعاً جذاباً للرسم او النحت.

اوقف السيارة قرب جسر صخري صغير واطفاً المحرك. كان السكون شاملاً والصمت تاماً. نظر اليها جون ووضع يده على كتفها، فأحست بموجات حرارية تسري في عروقها. ثمّنت ان يطوقها بذراعه لتشعر بالدفء والحنان... والحماية. جلسا على هذا النحو

دقائق عدة، مرتاحين لسماع صوت الطبيعة وتنشق رائحة الزهور الہرية العطرة. وفجأة شد على كتفها وسأها بشيء من العصبية:

«تينا، هل اعجبك انا؟».

شعرت بأن قلبها توقف عن الخفقان وبأن السيارة تدور بها. اخذت نفساً عميقاً واجابته:

«نعم... انك تعجبني».

اعجاب؟ هذا هو الشعور الذي كان يتاها كلما ابتسم لها او نظر اليها؟ لا، ان النار التي تحرق جسمها كلما اقترب منها او لمسها ليست نتيجة الاعجاب فقط! انها الحب!

«هل اعجبك بما فيه الكفاية كي تتزوجيني؟».

شبهت، ضاعته، ذابت في مكانها! انها تحلم! ولكنها الحقيقة... فيها هو يشد على كتفها باصابعه القوية ويهزها قليلاً، ثم يقول لها بلهجة جادة تحمل شيئاً من الحدة:

«تينا! تكلمي، قولي شيئاً حتى ولو كان ذلك قاسياً! اطلبي مني ان اذهب الى الجحيم، اذا كان ذلك يسرك او يعكس حقيقة مشاعرك! هل صعبك طلبي؟ هل تشعرين بأنها وقاحة مني ان اطلب يدك على الرغم من هذا الفارق الكبير في العمر؟».

تأملت وجهه بدقة وعناية، وصرخ كل شيء فيها طالباً البقاء قربها وعدم الافتراق عنه. اصبح عزيزاً جداً على قلبها، ولكنها تعتقد انه لا يحبها وسمعت نفسها تقول له بهدوء... والم:

«انا غريبان... والغرباء لا يتزوجون بعضهم!».

خيم الصمت فترة طويلة لم تسمع خلالها سوى دقات قلبها... وساعة يده. وفجأة خرق الصمت وقال لها:

«بعض الاشخاص يا تينا ليسوا غرباء ابداً، لأنهم يصبحون اصدقاء بمجرد تبادل بضع كلمات. تصورت انك تفهم هذا

الموضوع. تصورت ان لديك من الذكاء ما يكفي لتفهم ذلك.

ليس من الضرورة ايضاً ان يتزوج الاصدقاء.

تنهد واجابها بصوت منخفض وقد بدت عليه خيبة الامل:
«انك لا تزالين صغيرة لتعرفي ان هناك عشرات الاسباب التي تحمل الناس على الزواج».

وصمت لحظة ثم اضاف قائلاً بهدوء:

«زواجك مني يا عزيزتي افضل مئة مرة من وظيفة ثانوية في احد المكاتب الصغيرة. كما يمكنني ان اقدم لك منحتين اضافيتين لا بأس بهما على الاطلاق، وهما سانت مونيك وبيت تكوينين انت ربتة وميدته».

ناشدته بقلب جريح وصوت حزين:

«توقف، ارجوك! كنت اتصورك طيباً وكريم النفس، ولكنك كالأخرين تعتقد ان خجلي يمنحك حق التسلط علي والتصرف معي كما تريد. انك لا تتصرف هكذا مع شابة اكبر منا واجمل واذكي...».

«لو كانت لديك هذه الصفات الثلاث، يا طفلي، لما كنت عرضت عليك الزواج مني».

شدها نحوه حتى التصق وجهها الصغير البارد بوجهه الدافئ،
واضاف قائلاً بحنان ظاهر:

«لم اعد اطيع وحدتي وعزلي يا تينا. اني بحاجة الى زوجة،
بحاجة الى امرأة تشاركني حياتي».

اضعفت مقاومتها كلمة الوحدة التي استخدمها بصدق وصراحة، كما تهاوت دفاعاتها امام احساسها بقربه منها. لم تحلم ابداً بمثل هذه اللحظة التي يحتضنها فيها جون تريكارل ويعرض عليها الزواج. واحست باصابعه تداعب شعرها... لم يرغب فيها احد حقاً حتى هذه اللحظة... لم يردها رجل من قبل كما يريدونها جون الان...

«كنت اعتقد انني اعجبك. انت تعجبيني يا تينا، اليس هذا كافياً؟».

شعرت بسعادة بالغة عندما كانت تأمل في تمضية بضعة ايام اضافية بصحبته. وها هي قادرة الآن، اذا ردت عليه بالاجاب، ان تمضي معه بقية حياتها... في جزيرته الجميلة، وان تتخلي نهائياً عن وحدتها وعزلتها المزعجتين. وسمعتة يسألها بشيء من المرح:
«هل نمت؟».

ضحكت... تنهدت... ثم قالت:

«لا يمكنك ان تكون جاداً يا جون، فليس لدي الجمال والذكاء والخبرة التي يريدونها رجل مثلك في شريكة حياته».

«يكفيني يا عزيزتي ان لديك ما اريده من لياقة وكياسة، واحساس ورقة، واخلاص وعدم انانية».

ضم وجهها بين يديه الدافئتين ثم انزلها الى كتفها وضمها اليه بحنان، فيما كانت شفتاها الناعمتان والبريثتان تنتظران.
وكان صاعقة اصابتها.

طارت، حلقت، غابت، ذابت... واحتمت بكتفيه فطوقتها بقوة وعصبية. لم تعد تفكر منطقياً بما سيحدث لاحقاً...
«هل جوابك نعم؟».

ردت عليه هامسة دون ان تتمكن من رؤية عينيه لأنها دفنت رأسها في صدره:

«اذا كنت تريدني يا جون».

ونمت ألا يندم... يجب ان يفرح، لا ان يحزن، لأنه طلب منها ان تتزوجه... ولأنها وافقت. ابعداها عنه برفق وقال لها بلهجة عادية:

«سوف نتزوج في الاسبوع المقبل ان شاء الله. وسأبدأ منذ غد باعداد الوثائق والترتيبات الضرورية».

سألته بخجل:

«وماذا عن ليزا؟ هل تعتقد انها ستمانع؟»
 «ربما ستتضايق قليلا في البداية. ولكنها ما ان تتعرف عليك جيداً...» وداعب شعرها مرة اخرى وغير الموضوع قائلاً:
 «لا تحاولي تسريح شعرك بأي طريقة معينة يوم زفافنا. اتركه كما هو الآن، فهو جزء هام من سحرنا وفتنتك. هكذا كان عندما رايتك للمرة الاولى... الجزء الوحيد المتحرر. مسكينة تينا، الفتاة الصغيرة الضائعة! هل لا تزالين ضائعة يا صغيرتي؟»
 وقبلها على جبينها ثم ادار محرك السيارة وانطلق بها نحو لندن. وراح يحدثها عن منزلها في سانت مونيك المسمى بيت الماء الأزرق. وشرح لها عن تاريخه وعن انواع الزهور المختلفة التي تنبت في الحدائق المحيطة به. وقال لها ان سبب تسميته يعود الى وجوده على رأس تلة تشرف على البحر ومائه الصافي الذي يعكس زرقة السماء. ثم ابتسم وقال:

«اريدك ان تتصرفي كربة القصر دون تردد او حرج. لدي هناك عدد كاف من المساعدين والخدم، وجميعهم طيبون ودمثون ويتوقعون تلقى اوامرهم من السيدة الجديدة. ويتأبني شعور قوي بأنهم سيفرحون كثيراً لأن السيد جون تزوج شابة صغيرة جميلة مثلك».

وهزت تينا برأسها. انها ليست جميلة، ولكن كلامه عن جمالها يفرحها ويسرها. وتذكرت جملة قرأتها في احد الكتب وجاء فيها ان عظمة الحب لدى الانسان تكمن في حبه للآخرين اكثر من حب الآخرين له. فلسفة؟ ربما! ولكنها تحبه، وستزوجه، وتصبح السيدة تريكارل. وتأملته بمزيج من السعادة والألم... السعادة لأنها ستزوج من تحب، والألم لأنه اكتفى بكلمة اعجاب وتوقف عندها. وتوقفت السيارة امام مبنى الجمعية حيث تقيم، وامسك بيديها الباردتين برفق وحنان ثم قال لها:

«لدي صديقة هنا في لندن هي السيدة لانينغ التي سيكون من

دواعي سرورها مساعدتك في انتقاء جهاز العرس. كما ان علينا شراء خاتمي الخطوبة والزواج».

واحسن بيديها ترتجفان ويدت على وجهها وفي نظراتها بعض مشاعر القلق والانفعال. ضمها الى صدره وسألها ضاحكاً:
 «هل انت خائفة مني؟»

ارادت ان ترد عليه بالاجاب، ان تعترف له بخوفها. وجهه غامض يخفي حقيقة مشاعره واحاسيسه مما يحرمها من التكهن بماذا يفكر او يخطط. وتصورت ايضاً انه حاد الطباع ولكن ببرودة اعصاب هائلة.

«الزواج يا تينا هو جنون ومقامرة ساميان بالنسبة للرجل، وكذلك للمرأة. ثم، لم يخطر ببالك ايضاً ان اعصابي متوترة قليلاً، ولو من زاوية مختلفة، بسبب قراري الزواج منك؟»

دهشت واستغربت، وسألته مرددة كلماته كالصدى:
 «بسبب الزواج مني؟»

«ان عمري هو ضعف عمرك تقريباً. ولكن، اللعنة، لا يمكنني ان اظل وحيداً!».

ثم شد على يديها وسألها:

«هل انت متأكدة من انك تريد الزواج مني؟».

لم تكن متأكدة من اي شيء. كل ما تعرفه انها منذ تلك اللحظة على شاطئ تشورلي عندما استدارت وشاهدت عينيه، بدأت رحلة طويلة ستأخذها اما الى ذروة السعادة والفرح او قمة الألم والعذاب. تنهدت واجابته بهدوء:

«نعم يا جون، اريد الزواج منك».

ضاعت مرة اخرى بين ذراعيه ولم يعد يهمها ماذا سيحدث لها مستقبلاً وماذا تحب، لها الاقدار، وماذا ينتظرها في ذلك البيت الذي كان لجوانا.

اكتشفت تينا ان السيدة جاي لانينغ سيدة لطيفة المعشر في اواخر

الثلاثينات من عمرها، متزوجة من مدير إحدى شركات الاعلان كان زميلاً لجون في جامعة اوكسفورد وظل صديقاً حميماً له منذ ذلك الحين. وافترضت تينا ان جاي كانت تعرف جوانا حق المعرفة وان تهذيبها وكرم اخلاقها يمنعانها من اظهار استغرابها ودهشتها لقرار جون الزواج من فتاة تختلف الى هذه الدرجة عن زوجته الرائعة الراحلة.

ولأنها ادركت ان وضعها الاجتماعي المقبل كزوجة لشخص مشهور مثل جون تريكارل سيفرض عليها تحولات جذرية، فانها لم تعترض او تجادل عندما طلب جون من جاي ان تأخذها الى احد ارقى المحال المتخصصة بشباب العرائس. وانهى توصياته بالقول:

«تمتعا بوقتكما، ولا تهلك التكاليف يا جاي».

ردت جاي على ابتسامته بالمثل وقالت بمرح ظاهري: «عظيم! ستكون هذه المرة الأولى التي سأشتري فيها كمية كبيرة من الأشياء الجميلة دون ان اضطر لسماع صراخ تشارلي وتذمره بسبب ارتفاع الاسعار وكثرة المشتريات. قل لي يا جون، لماذا يدلل الرجل خطيبته وعروسه الى هذه الدرجة فيما يبخل على زوجته ويحرمها من امور عدة؟».

ابتسم تشاك لانيغ وازاح صحيفته من امام وجهه وقال مازحاً: «لأنه يندم بعد مرور فترة من الزمن على الغنج والدلال اللذين ذهباً سدى».

ضحك الجميع وعادت جاي تقول:

«هذا ما يجب ان تتوقعه يا تينا بعد بضع سنوات. فالغزل والكرم لا يدومان طويلاً مع الرجال».

ابتسم جون وقال لتينا بلهجة مرحة تحمل شيئاً من الجدية المبطنة: «ها قد اطلعك هذان الصديقان العزيزان على الجانب السيء والمظلم للزواج فما رأيك يا تينا؟ هل تقررين الانسحاب طالما ان

الفرصة لا تزال سانحة؟».

ضحكت تينا وهزت برأسها نفياً وهي تضع يدها برفق وحنان على رأسه وتداعب شعره بهدوء ومحبة. وتمنت في تلك اللحظة ان تكون حياتها مع جون سعيدة كما هي الحال بين جاي وتشاك. ولاحظت تينا اثناء تناول الغداء ان تشاك اثنى على زوجته لوجودة الحلوى التي اعدتها، وان عيني جاي برقنا فرحاً وسروراً. وقالت تينا لنفسها ان المرأة التي تحب زوجها حقاً هي التي تعد بعض المأكولات والحلويات المفضلة له، على الرغم من وجود طاه وخادمتين.

وفي اليوم التالي ذهبت جاي وتينا الى احد ارقى محال الأزياء في نايتسبريدج حيث رحبت بهما موظفة الاستقبال واتصلت فوراً بمديرة المؤسسة، التي كانت تنتظرهما بناء على اتصال سابق من جاي. استقبلتهما المديرة الأنيقة بتهذيب، مرحبة بجاي بطريقة توحى بوضوح انها تعرفها منذ زمن طويل. وشعرت تينا بأن مديرة المؤسسة علمت على الفور بأن هذه الشابة الخجولة لم تدخل مكاناً كهذا في حياتها. ومن المؤكد انها قدرت ثمن الفستان الذي ابتاعته تينا من تشورلي، الا ان تصرفها معها ظل طبيعياً ومهذباً وكأنها زبونة ثرية ودائمة. لم تبالغ في تدليلهما كما انها لم تتصرف معهما بجدية فائقة. وتبين لتينا انه يهتما في المقام الأول ببيع ملابس أنيقة وجميلة لأي سيدة تقصد مؤسستها، دقة كانت ام ضاربة على الآلة الكاتبة. واكتشفت تينا فجأة انها لم تعد متوترة الأعصاب لوجودها في هذه المؤسسة الراقية، بل ارتاحت وبدأت تتمتع بما حولها وشاهدتها تشير الى احد المقاعد الوثيرة وهي تقول مبتسمة:

«تفضلي بالجلوس يا آنسة مانسون. سنريك حالاً بمجموعتنا الحديثة والكاملة لثياب العرائس».

وبدا الاختيار... هذا الفستان الرائع من هنا، وهذه العباءة الساحرة من هناك. وتسمع تينا بين الحين والآخر المديرة تقول لها باعجاب واضح:

«هذا هو الكمال بعينه! كان هذه العبادة صنعت خصيصاً لك».

وتسمع جاي أيضاً تقول بسرور فائق:

«انا متأكدة تماماً من ان جون سيحب هذا الفستان بدرجة كبيرة، ففيه جاذبية ساحرة ويناسبك الى ابعد الحدود».

ابتسمت تينا بخجل وهي تتأمل نفسها امام المرأة. هل تعلم لا، انها هنا تشاهد هذا التحول الرائع في شخصها ومنظرها، وتتصور كيف سيكون موقف عمته مود فيما لو رأتها في هذا الوضع الجديد المختلف. وفجأة احست بشيء من الرعب يتناها بقوة. انها مقبلة على زواج قد يحمل تيارات خطيرة في حياتها ومستقبلها، كما ان لا احد لها تأتمنه على اسرارها او تطلعه على خفايا امورها. وبدأ على جاي انها لا تشك ولو لحظة واحدة بان جون ينوي الزواج لمجرد الهرب من وحدته القائلة وعزلته الحياتية المؤلمة. وافترضت ان صديق زوجها لا يمكن ان ينفق مبالغ طائلة كهذه الا على شابة يجلبها حباً شديداً.

وبعد اختيار جميع الملابس الضرورية، والانفاق دون حساب حسب رغبة جون، توجهت جاي وتينا الى احد ارقى مطاعم المنطقة وتناولتا غداء شهياً. واثناء شرب القهوة، التفتت السيدة المتزوجة نحو صديقتها الجديدة وسألتهما:

«انك تحبين جون حباً جماً يا تينا، اليس كذلك؟».

احنت تينا رأسها خجلاً وهي تهز علامة الموافقة. فالخجل منعها من الاعراب عن حقيقة مشاعرها، خاصة وانها لا تعرف مدى السعادة التي بإمكانها ان تمنحه اياها. وسمعت جاي تقول لها بصدق واخلاص:

«انه رجل محظوظ لانه وجدك».

وتلعثمت تينا وهي تكشف بعضاً من اسرارها:

«اني لست معتادة على... على هذا النمط من الحياة. اني...».

اني قلقة جداً من ارتكاب اخطاء فادحة... واعطاء الناس مجالاً... اوه، انت تعرفين ما اعني! كانت زوجته الأولى رائعة وجذابة... انا اعرف ذلك. كيف يمكنني يا جاي ان أمل في منافستها؟».

ربت على يدها بحنان وقالت:

«لا تحاولي يا عزيزتي. كوني نفسك وكما كنت دائماً وسيحبك الجميع. ومن الواضح ان لديك كل ما يريده جون في زوجته. جون وانا متحمسان جداً لانه سيتزوج مرة ثانية. انه رجل طيب جداً... وليزا بالتأكيد بحاجة الى ام وصديقة».

«أمل في الا تنفر مني الطفلة بأي شكل من الاشكال...».

وضحكت بشيء من الخجل ثم اضافت:

«ها قد عدت مرة اخرى الى ايجاد مواضيع جديدة تقلقني وتخيفني».

«صحيح ان الاطفال ينفرون احياناً من زوجة الاب. ولكن ليزا كانت في عامها الأول عندما توفيت جوانا، وعليه فليس بإمكانها اجراء اي مقارنة بينكما. انك تختلفين عن جوانا».

ثم تنهدت ومضت الى القول:

«كانت فعلاً رائعة الجمال وذات جاذبية ساحرة. ولكن لو اراد جون نسخة عنها، لتزوج ابنة عمها بولا كاريش التي تعيش في الجزيرة. ليس سراً على الاطلاق انها معجبة به وانها...».

وتوقفت فجأة ثم قطبت جبينها وسألتهما بجدية:

«هل تعرفين تفاصيل وفاة جوانا؟ هل حدثك عن كيفية مقتلها؟».

هزت تينا رأسها فيما توترت اعصابها بعض الشيء وهي تحاول اخفاء انفعالها وتأثرها. صبت جاي لنفسها فنجاناً آخر وقالت بهدوء واضح:

«يجب اطلعك على ما حدث. لقد وقعت من تحت احد اصدقاء

العائلة وغرقت. كانت ماهرة في السباحة ولكن رأسها ارتطم بحافة صخرة تحت الماء. كانت ليزا قريباً عندما وقع الحادث، وظلت في حالة عصبية مروعة لساعات عدة خاصة بعدما شاهدت ما حدث لوالدها أيضاً. فقد شاهد جون الحادث وهو على الشاطئ، وسبح نحو اليخت في محاولة يائسة لانقاذ جوانا. علقت رجله بين الصخور الحادة فسحبها بعنف وعصبية وهو يشاهد بقعة كبيرة من الدم تطفو على سطح الماء فوق المكان الذي وقعت فيه جوانا. أصيبت رجله بجرح بالغ وهاجمته سمكة قرش صغيرة... كانت مأساة بكل ما للكلمة من معنى. جوانا توفيت وجون كاد يفقد حياته... واشاعات تزيد من همومه وتقض مضجعه!

وهمست تينا مكررة الكلمة باستغراب:
«اشاعات؟»

«نعم، عن علاقة مزعومة بين جون وبولا، لم تكن هناك بالطبع أي علاقة، إلا أن ثمة أشخاصاً كثيرين لا يهمهم سوى الثروة وتداول الأقاويل وتلفيق القصص عن الآخرين. عملت بولا كعارضة لديه وهذا كل ما في الأمر. جون كان يحب زوجته بشكل لا يصدق».

وضحكت جاي ثم أضافت:

«على أي حال، انتهى كل شيء الآن، وها هو جون على أمة حياة جديدة معك. وأنا متأكدة من أن حياتكما معاً ستكون سعيدة للغاية».

ارغمت تينا نفسها على رسم ابتسامة خفيفة على وجهها، إلا أن قلبها ظل منقبضاً وأعصابها متوترة وأفكارها ينتابها ذهول وانزعاج. فهي لن تواجه في سانت مونيك مجرد شبح امرأة جميلة وحسب، بل أيضاً امرأة جميلة أخرى تعيش هناك منذ سنوات وتتمنى الزواج من جون. بولا ابنة عم جوانا وكانت معها عندما قتلت، وهذا الأمر وحده يكفي لكي تعتبر أي امرأة يتزوجها جون... حتى ولو لم تكن

هي تحبه وتريده... عدوة لدودة لها! وخارج المطعم، توقفت جاي أمام بائعة ازهار وقالت بلهفة:

«يجب أن ابتاع باقة من هذا النوع بالذات! إنه فصل الربيع... فصل السعادة والهناء!».

ثم التفتت نحو تينا وقالت لها فجأة:

«اسمعي! لماذا لا تمضين الأيام القليلة المقبلة معنا؟ لدينا غرفة جاهزة للضيوف واعتقد أن وجودك مع أصدقاء أفضل لك من وجودك مع غرباء. أعني، إن الفتاة تكون عادة متوترة الأعصاب ولو قليلاً قبل زواجها وتحتاج إلى صديقة. هل تعجبك الفكرة؟».

«إن ذلك لمن دواعي سروري وامتثاني البالغين!».

وفي اليوم التالي حضر جون إلى منزل تشاك وجاي وأخذ تينا إلى أحد أفضل محال المجوهرات في شارع بوند لشراء خاتم خطوبة. تأملت تلك الخواتم الرائعة بذهول ولم تجرؤ على اختيار أي منها خوفاً من أن يكون ذا ثمن خيالي.

«ها يا حبيبي، اختاري الخاتم الذي يعجبك. ما رأيك بهذا... أو بذاك؟».

أعجبها خاتم جميل ولكن لم يكن له ذلك التألّق والانبهار مثل الآخرين، فقررت اختياره ظناً منها أنه لا يمكن أن يكون مرتفع الثمن كغيره. أومأت إليه باصبعها وتمتمت بخجل:

«هذا خاتم جميل».

«أذن لنجربه».

ولما أدخل أصبعها فيه وتبين لها أنه يناسبها جداً، ابتسم وقال لها:

«إنه جميل جداً. هل تريدينه؟».

أحمرت وجنتاها خجلاً وهزت برأسها علامة الموافقة. ابتسم مدير المؤسسة بارتياح ظاهر وقال لجون:

«من المؤكد أن الأنسة ذواقة جداً يا سيدي، إذ يمكن القول بلا

تردد ان الياقوت هو اجمل واروع الأحجار الثمينة والنادرة.
الياقوت! تطلعت تينا الى جون بخوف واضح، الا ان نظراته
الحنونة والهادئة اكدت لها انه لن يقبل اي اعتراض من جانبها كما انه
لن يتوقف عند اي حد في تدليلها. ثم سمعته يقول:
«والآن حان دور خاتم الزواج، اليس كذلك؟».

احضر مساعد المدير علبتين مخمليتين تضماني احداث مجموعة من
خواتم الزواج، فاختار جون احدها بعد ان تأمل المجموعة بعين
فاحصة خبيرة. وما ان جربته ورفعت رأسها سعيدة لتخبره بأنه
يناسبها، حتى فوجئت باختفاء ابتسامته وتوتر اعصابه. انه يتذكر
خاتم الزواج الآخر الذي ابتاعه لجوانا.. والذي كان يشع ويبرق
حول اصبعها عندما كانت تغرق وتموت... خلعت تينا الخاتمين
ووضعتهم يده في العبة المخملية، فقال لها بحدة:
«اعيدي خاتم الخطوبة الى اصبعك!».

حدقت به دون ان تنفوه بشيء. ارادت ان ترفض... ان تقول
له انه لا يحبها... وانها بالتالي لا يمكن ان تقبل خاتمته... او ان
تتزوجه!

«اعيديه الى اصبعك!».

قالها مرة ثانية وهو ينظر اليها بشيء من التحدي. ثم بدا انه انتبه
لما تعاني منه وللأفكار التي تتصارع في رأسها وقلبيها. فآخذ الخاتم بيد
وامسك يدها بيده الاخرى وقال لها بصوت حنون هادئ:

«دعيني انا اضعه حول اصبعك الجميل».

وخرجا صامتين جنباً الى جنب نحو السيارة. وكانت تينا متأثرة
لأنها شعرت بأن عليه ان يمسك يدها كمراهقين عاشقين، لا ان
يمشي قريبا كشخص غريب. انها تحبه كثيراً وتريده ان يحبها، لا ان
يكتفي بشراء المجوهرات الثمينة والملبوسات الرائعة. لماذا يريد
الزواج منها ان لم يكن يحبها؟ لأنها لا تثرثر او تتدخل في شؤون
الآخرين؟

«حدث كل شيء بسرعة فائقة، اليس كذلك يا تينا؟ بعثت اليوم
ببرقية لليزا اخبرها فيه عن زواجنا، واعدت الترتيبات كي يتم
الزفاف يوم الجمعة».

هزت برأسها دون ان تنظر اليه. وسمعت في تلك اللحظة اغنية
عن غريبة على الشاطئ فزاد تأثرها. سوف تتزوج جون... ولكنها
تعلم ان حبها له لن يتمكن من ابعاده عن شاطئ الذكريات...
ذكريات حبيبته الراحلة!

٣- طفلة . . أم زوجة؟

أقامت جاي ليلة الخميس حفلة عشاء صغيرة تكريماً لجون وتينا دعت إليها عدداً من اصدقاء جون وتشاك . ولأن تينا أرادت ان تكون موضوع فخر خطيبها واعتزازه، فقد ارتدت احد اجمل فساتينها الجديدة وتبرجت وتعطرت قبل ان تنزل الى قاعة الاستقبال الفخمة في منزل لانيغ.

وبما ان تشاك كان يرتدي ملابس وجاي تضع اللمسات الأخيرة على اطباق الطعام الشهية المعدة للضيوف، فقد راحت تينا تتأمل تلك الغرفة الكبيرة الجميلة وتستمتع الى انغام موسيقية حاملة تناسب في ارجائها بهدوء ونعومة . وابتسمت بشيء من الانفعال عندما تخيلت نفسها بعد يومين فقط سيدة قصر جميل وربة بيت عليها اقامة

حفلات واستقبال شخصيات مرموقة . أرادت ان تضحك . . . ان تبكي . . . ان تمزج بين الضحك والبكاء . وكادت توقع من يدها اناء فخارياً أثرياً عندما سمعت جرس الباب . نادى لجاي وتشاك بأنها هي التي ستفتح الباب، وتوجهت على الفور الى المدخل الرئيسي للبيت .

شاهدت الرجل الذي ستزوجه في اليوم التالي والذي سيغير اسمها الى تينا تريكارل، فاحمرت وجنتاها وأذناها . فتحت له الباب، فدخل وهو يقول لها باسمها:

«انك تبدين مغربة وجذابة الى ابعد الحدود هذا المساء . أين تلك الفتاة تينا صاحبة الشعر المتطاير والعينين الكبيرتين الحالمتين التي تعرفت عليها على شاطئ تشورلي؟»

اجابته بهدوء وخجل وقد ذابت يدها بيديه:
«أوزتك البسيطة القادمة من تشورلي لا تزال هنا يا جون، تحت كل هذا الريش الفاخر الذي تراه الآن امامك» .

اعجبه جوابها جداً فابتسم ورفع يدها الى فمه وقبلها بحبة وحنان . وكانت تلك الجملة على ما يبدو بداية طيبة لسهرة رائعة امضاها الجميع بفرح وسرور . وكان آخر المغادرين جون الذي ذكر خطيبته بأن مراسيم الزواج ستتم في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي في مركز الزواج المدني بحي تشلسي . وأبلغها بأنها سيتناولان غداء العرس بعد ذلك مع جاي وتشاك في مطعم كلاريدجز، ثم يتوجهان الى فندق صغير في مقاطعة سري حيث بيتان ليلتهما قبل مغادرتهم بريطانيا الى جزيرة سانت مونيك . وسألها باسمها:

«هل من مانع لديك لتمضية شهر العسل في الجزيرة والسماح لليزا بأن تشاطرك التمتع بوجودي؟» .

شعرت بأنه يضع هذه المعلومات على شكل سؤال لأنه رجل مهذب ليس الا . اجابته بكلمة واحدة، مع انها كانت تحس في قرارة نفسها انها تفضل الاختلاء والاستئثار به بعض الوقت قبل ان تبدأ

ممارسة مهامها كزوجة أب ومربية. ولكن لا سبيل لذلك، فالطفلة تأتي في المقام الأول وعليها أن تتقبل هذا الواقع. قبلها على خدنها وحياً جاي وتشاك متمنياً للجميع ليلة هائلة ثم توجه إلى بيته. فعلت تينا نفس الشيء وتوجهت إلى الغرفة المعدة لها. كانت متعبة ولكنها لم تتمكن من النوم بسبب توتر أعصابها. وفجأة دق الباب وسمعت جاي تسألها إن كان يمكنها الدخول.

«بكل سرور».

دخلت جاي ومعها إبريق من الشاي الساخن وعلى وجهها نظرات اهتمام حقيقية. قالت لها موازية:

«شعرت بانزعاج كبير في الليلة التي سبقت زواجي. لم أكن أحب تشاك وأردت أن ألغي الزواج. هيا اشربي هذا الشاي الساخن الممزوج بالنعناع».

شربت بصعوبة... إذن فهي ليست وحدها التي تشعر بالخوف والقلق في ليلة كهذه، والأسباب العديدة التي تحملها على التفكير بطلب الغاء الزواج...

«هل بدأت المياه تعود إلى مجاريها الطبيعية؟»

ابتسمت تينا وقالت لمضيفتها الطيبة التي جلست قربها على السرير:

«نعم، وشكراً على مجيئك. كنت على وشك أن أصاب بهلع وقلق بالغين».

«إنه رد فعل طبيعي يا تينا. فالفتاة عادة لا تتزوج إلا مرة واحدة في حياتها. وثمة فارق كبير بين أن تحب الفتاة رجلاً وأن تعيش معه».

ثم ابتسمت وأضافت:

«أنني من الذين يعتقدون أن فترة الغزل والتودد التي تسبق الزواج هي أجمل جزء في لعبة الحب... على الأقل من وجهة نظر الفتيات. وأنت يا تينا لم يكن لديك الوقت الكافي لمعرفة جون على حقيقته. ولكن صدقيني إنه رجل عظيم».

صحيح... ثمة فارق كبير بين حب الرجل والعيش معه. ولكن هناك شيئاً تشكر الظروف عليه. فمع أن حادثة جونا أحرزت جون كثيراً طوال السنوات الثماني الماضية وربما جعلته لاذعاً إلى حد في سخريته، إلا أنها لم تحولها إلى رجل متحجر القلب يحاول الانتقام من نفسه ومن الآخرين. فمع تلك الثقة القوية بالنفس والتظاهر أحياناً باللامبالاة أو عدم التأثر بمشاكل الآخرين، ما زال رجلاً بحاجة للحب والسلوى. وشرّد تفكيرها فجأة إلى موضوع حساس جداً... إلى إحدى اسمي النتائج التي يتمخض عنها الزواج... الأولاد! وتحمست، وبرقت عينها بشعاع الفرح والبهجة. إنها تحب كثيراً أن تصبح أما حقيقية وإن تغدق على طفلها، صبيّاً كان أم بنتاً، كل ما لم تجده هي في طفولتها... الضحك، التفهم، الحنان، الحب بالأطنان. وأحست بيد جاي تربت على كتفها وسمعتها تقول لها بمجونة:

«لا تخافي من عدم قدرتك على منافسة جونا. عندما تكون المرأة جميلة جداً فإنها عادة تريد عبودية الرجل أكثر من حبه أو دفته. تريد منه أن يضعها طوال الوقت فوق قاعدة عالية كتمثال رائع ونادر الوجود. فهل تفضلين هذا الوضع المتعب والمرهق؟».

ضحكت تينا بارتياح ظاهر وقالت بامتنان:

«أني سعيدة جداً لوجودي هنا يا جاي، فمعظم الأمور تبدو أفضل بكثير مما كانت عليه قبل فترة قصيرة».

«عظيم. الآن يجب أن تنامي وترتاحي، لأننا لا نريد مشاهدة عروستنا الحلوة تتأهب أثناء زفافها غداً».

أحضرت لها الخادمة فطورها صباح اليوم التالي، فتناولت طعامها في السرير. ثم أتت جاي وبدأت تساعد على تزيين نفسها استعداداً لحفل الزفاف. سمعنا جرس الباب وبعد دقيقتين ظهر تشاك وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

«معي علبة للعروس. هل أرميها لكما؟».

هزت جاي رأسها وقالت له بلهجة تجمع بين الجدية والضحك :
«طبعاً لا، ايها الدخيل المزعج! سلّمنا اياها باليد فقد يكون
بداخلها شيء معرض للكسر».
«أشك في ذلك كثيراً».

وذهب ضاحكاً ليعود بعد لحظات ومعه علبة بيضاء طويلة تحمل
الاسم المشهور، وولف. نظرت اليها تينا بلهفة وحماسة ثم قالت
لجاي متوسلة:

«افتحيها أنت يا جاي، فيداي ترنجفان».

مزقت جاي الورقة الجميلة التي تلف العلبة وتأوهت باعجاب
بمجرد ان فتحت الغطاء وشاهدت معطف الفرو الرائع الجمال الذي
كان بداخلها. رفعت المعطف الغالي الثمن فشهقت تينا بدورها
ووضعت يدها على فمها لتكتم صرخة اعجاب. وقعت من المعطف
بطاقة صغيرة فالتقطتها تشاك واعطاها لتينا، التي اخذتها منه بيد
مرتعة وقراءت الكلمات الخمس المكتوبة عليها:

«تينا، يوم زواج سعيد. جون».

تهللت تينا وقالت لمضيفها بتأثر واضح:
«انه من جون! أليس رائع الجمال؟».

وضمت المعطف الى صدرها ودفنت وجهها في فروه الناعم، وهي
تشعر بأن حبها لجون يكاد يمزق غشاء قلبها الطيب الجائع.
«لم تكن هناك أي حاجة لذلك! ولكن، أليس ساحراً وجذاباً هذا
المعطف؟ ... معطف من الفرو النادر والثمين لي... لي
أنا!».

ابتسمت جاي وقالت لها:

«مبروك، ولكن لا يمكنك ان تظلي واقفة هكذا طوال النهار. ان لم
أتمكن من انتهاء المهمة الملقاة على عاتقي، فسوف تتأخرين وترغمين
عريسك على الانتظار... وهو أمر لا يحبه كثيراً».

ابتسم تشاك وقال ان انتظر عروس مثل تينا هو أمر يتمناه مئات

الرجال. ثم غمزها مشجعاً وغادر الغرفة متوجهاً الى قاعة الجلوس.
وشعرت بموجة دافئة من الارتياح والثقة بالنفس تداعب قلبها.
أهداها معطفاً من الفرو النادر وتمنى لها السعادة في يوم عرسها. انها
الهدية التقليدية للرجل العاشق، الذي تسمح له ظروفه المادية
بذلك. لم يهمها كثيراً انه لم يصف كلمة حب الى بطاقته. وانتهت
جميع الترتيبات ونزلت جاي وتينا الى القاعة الرئيسية. رمى تشاك
مجلته جانباً ووقف وهو يتسم ويبيدي اعجاباً حقيقياً بالعروس
الحلوة:

«صديقي رجل محظوظ جداً يا عزيزتي!».

ضحكت جاي وقالت لزوجها مازحة:

«لو لم اكن اعرف مدى حبك لي وصداقتك لجون، لكانت الغيرة

أكلتني. انها فعلاً ساحرة في جمالها وأناقته».

ثم نظرت الى ساعتها وأضافت:

«هيا بنا، لقد تأخرنا».

«بضع دقائق ايتها الزوجة الحبيبة. اني انتظر... اوه، هذا

جرس الباب!».

وتوجه بسرعة الى المدخل الرئيسي فيما رفعت جاي حاجبها

وتمتمت باستغراب:

«ماذا يفعل هذا الرجل الآن؟».

واكتشفت الجواب بعد لحظات عندما عاد تشاك ومعه باقة من

ورود شهر العسل الصفراء الذهبية. واحمر وجهه عندما اعطى الباقة

لتينا وهو يقول لها:

«اتصلت بعدد كبير من محال بيع الأزهار قبل ان اجد هذه الباقة

المتواضعة. احترّ تمنياتي القلبية ايتها العزيزة».

تأثرت تينا كثيراً وقبلته على خده وهي تقول:

«أوه، تشاك! شكراً... شكراً جزيلاً لكما... على كل ما قمتم

به نحوي!».

وعلى الرغم من قلق جاي وخوفها من التأخير، فقد وصلت مع زوجها وتينا الى مكتب الزواج المدني قبل جون. تركت تينا معطفها في سيارة تشاك ووقفت صامتة وهي تحتضن باقة الورود الصغيرة ولا تسمع سوى نبضات قلبها. ووصل العريس فأحست العروس بأن قلبها يقفز من مكانه، وشعرت بأنها تريد الاندفاع نحوه ومعانقته. أمسك بيدها اليسرى وشد عليها مشجعاً وهو يقول: «مرحباً أيتها العزيزة! انك تبدين انيقة جداً».

ضحكت بخجل وقالت:

«هذه نتيجة الأعمال اليدوية لجاي».

وفيما كانوا يدخلون المكتب أحست تينا بتوتر شديد في أعصابها. لا تراجع بعد الآن! وعندما أجابت المسؤول الموجود هناك بكلمة بسيطة واحدة، نعم، وشعرت بخاتم جون يلف أصبعها... تأكد لها أنها أصبحت منذ تلك اللحظة السيدة تريكارل. ابتسم جون وقبلتها جاي مهنته ومباركة زواجها ومتمنية لها حياة طويلة وسعيدة.

توجه الأربعة بسيارة تشاك الى كلاريدجز حيث كان جون قد اتفق مسبقاً مع الإدارة على اعداد غداء خاص جداً. واثناء شرب القهوة، نظر تشاك الى جون وتينا قائلاً بمحبة واختلاص: «اننا نتمنى لكما أجمل الأيام وأفضلها. وأتمنى ايضاً ان تكون حياتكما سعيدة كما هي حياتنا نحن، وعندها لن نكون لديكما أي اسباب للتذمر او الشكوى».

نظر جون وتينا الى بعضهما طويلاً، حبست تينا أثناء ذلك انفاسها تحسباً لما سيقوله زوجها. وجه اليها ابتسامة شبيهة بتلك التي فازت بقلبها وجبها على شاطئء تشورلي وقال:

«سأحاول جاهداً الا اجعل تينا تندم علي زواجها مني».

ارادت ان تجيبه، بأنه ليس بإمكانه ابداً ان يجعلها تندم على الوقوع بحبه. ولكن جون لم يطلب حبها... لم يطلب منها سوى

وجودها معه وتحمله، وذلك مقابل منحها بيتاً خاصاً بها... ورحلة عبر الأفق الذي اعتادت على مراقبته بشوق وشغف. بعد ربع ساعة، ودعا جاي وتشاك وتوجها نحو لندن وسألها فجأة:

«هل كتبت لعمتك تخبرينها بأمر زواجنا؟».

«لا، لم اظن انها مستهتمة بهذا الأمر».

نظر اليها جون وقال لها بمزيج من الذكاء والحنان:

«مسيكينة تينا الصغيرة! حرمت من طفولة هائلة وطبيعية، وما هي الآن تحرم من تاج الزواج الكنسي!».

ردت محتجة:

«لم أرد هذا التاج».

«ولا سماع تلك الأنغام التقليدية الحاملة عن قدوم العروس او عن

الحب الكامل والزواج السعيد؟».

«لا... لا... لا».

وأبعدت نظراتها عنه وهي غارقة في تأملات وأفكار متناقضة. هل

أحسن بحقيقة مشاعرها تجاهه؟ هل يسخر منها ويتهمك عليها؟ هل

يسخر من عروسه الصغيرة الخجولة ذات الأفكار السطحية التي يجب

عليها الا تأخذ بجدية بالغة الدور الذي قرره لها في حياته؟ وشعرت

بالسيارة تتوقف ثم سمعته يقول وهو يشير الى الفندق الذي سينزلان

فيه تلك الليلة:

«هذه هي المرة الأولى التي نختلي فيها ببعضنا منذ عدة ايام. هل

تشعرين بشيء من الغرابة، يا تيان؟ هل تدركين انك أصبحت

زوجتي؟».

حدقت به صامتة لا تعرف ماذا تقول او بماذا تعلق على تساؤل

كهذا. زوجته! صحيح... بكل ما لتلك الخطوة من ايجابيات

وسلبات! اقترب منها وقال ضاحكاً فيها كان يبحث عن الدبوس

الذي يثبت قبعتها:

«أوه، لنزع هذا الشيء السخيف ونمتع النظر بالشعر

ورمى القبة الى المقعد الخلفي وتطاير الشعر بحرية واغراء.
داعب شعرها برقة وحنان ثم ضمها نحوه وعانقها طويلا. ولما رفع
رأسه، سالها متمتعا:

«هل أنت خائفة مني او ان اعصابك متوترة؟»

نظرت اليه بعينين واسعتين لا تعرفان الكثير عن الرجال
وشهواتهم، واجابته بتلثم واضح:

«ليس... ليس منك. ربما... الى حد قليل... من نفسي»

لم... لم اقم في حياتي علاقة مع... مع أي شاب... و... و...
وأخذت نفساً عميقاً ثم تابعت كلامها وقد احمرت وجنتاها
وأذناها خجلا وانفعالا:

«لا أعلم ماذا... ماذا على الفتاة ان تفعل كي... كي...»

«كي تدخل البهجة الى قلب الرجل؟»

سالها بوداعة وحنان محاولا تهدئة اعصابها والتخفيف من حدة
توترها. ثم وضع يديه برفق على كتفيها وتابع حديثه بنعومة
وهدوء:

«ما هو شعورك الآن؟ الحب امر غريزي يا تينا، فافعلي ما تمليه
عليك اراذك ومشاعرك لا اكثر ولا اقل».

ترددت، لأنها لا تعرف ماذا تفعل. ولكن تشوقها لارضائه دفعها
لأن ترفع يدها بخجل وتلمس ذقنه ووجهه وصدغه. وما ان وصلت
يدها الى شعره حتى قال لها بلهجة جافة بعض الشيء، وقد بدا
بوضوح انه اساء فهم تصرفها وهدف مداعبتها:

«هل تلاحظين الفارق الكبير في العمر؟ هل يقلقك هجوم الشيب
على شعري؟»

هزت تينا رأسها وهي تردد بصوت حنون وناعم قول احد
الشعراء ان الشيب تاج يكلل هامة الرجل. ابتسم بارتياح صادق
وقال:

«انك حقاً فائنة يا صغيرتي، ربما كان عليّ ان اتركك في سباتك
كي يأتي فارس احلام في مقتبل العمر والشباب ليوقظك ويحلق بك
الى...»

قاطعته بسرعة مبدية احتجاجاً صادقاً ونابغاً من القلب:

«انا لا يعجبني الشبان الصغار. تعجبني... تعجبني طبيبتك
وكرمك نحوي».

«لا تنصوري ابداً اني تزوجتك لكرم الأخلاق او بهدف
المساعدة».

ثم وضع يده على كتفيها وأضاف قائلاً بلهجة جادة:

«اني اريد زوجة يا تينا، وليس طفلة ترقص وتندلل على هاتين
الركبتين تأكل قطعة من الحلوى او تتلهى بلعبة صغيرة. ارجو ان
تفهمي ذلك جيداً».

«طبعاً يا جون».

دخل الفنتق الصغير فأرشدتها مالكة الذي يديره بنفسه الى
غرفتين مجاورتين ثم أبلغها بأن العشاء يقدم في السابعة والنصف.

وبعد ان غادرهما الرجل سمعت جون يسألها من غرفته:

«يمكننا ان نقوم بنزهة قصيرة في الجوار قبل العشاء. فما
رأيك؟»

اعجبتها لهجة الدلال في سؤاله فابتسمت واجابته بهدوء:

«يسرني ذلك كثيراً».

«حسناً. سأحضر غليون وأنضم اليك فوراً».

حركت اصابعها بطريقة لاشعورية فأحست بالخاتم الذهبي
يداعب يدها. انها الآن سيدة متزوجة! يا لغرابية هذا الشعور الذي
انتابها عندما شاهدت رجلاً طويلاً القامة يدخل غرفة نومها، وله
كامل الحق بذلك.

«مستعدة؟»

وضعت يدها في يده الممدودة نحوها وهزت رأسها علامة الموافقة

والترحيب فيها افتر ثغرها عن ابتسامة بريئة جميلة . وفي داخل تلك الغابة المحيطة بفندقهما الجميل ، رفعها جون ووضعها على جذع شجرة باسقة وراح يتأملها باعجاب بالغ . ثم قال لها :
« انك تبدين الآن كالإحدى تلك التلميذات في لوحة كاتي هوبكنز المشهورة . سيقول الجميع انني اختطفتك من احد الصفوف المتوسطة » .

انها تدرك تماماً ان وجهها وجسمها لا يعكسان ابداً حقيقة سنّها ، وان بعض الناس قد يقولون انها ليست اكبر بكثير من ابنته . ابتسمت وسالته بهدوء :

« وهل يزعجك او يضايقك ان يقولوا ذلك ؟ » .

« ليس الى درجة كبيرة . يمكن للثروة والاقاويل ان تشكل مصدر غيظ وانقباض للانسان ولكنها من النادر ان تكون مميتة او قاتلة » .

جذبت غصناً صغيراً وتظاهرت بانها تتأمل وريقاته . فمع انه قال ان الاشاعات ليست مهلكة ، الا انه كانت ثمة اقاويل عن علاقته المزعومة بابنة عم جوانا . هل وقعت جوانا في ذلك اليوم المشؤوم قبل ثماني سنوات لأن الحزن والشك كانا يسودان افكارها ومشاعرها ويجعلانها اقل عناية واهتماماً بنفسها ؟

« هل يقلقك يا تينا ان يصفونا بالكهل والمراهقة ؟ » .
كان يبتسم ولكنها اجابته بجدية :

« لا يقلقني سوى رد فعل ليزا . فمن الاهمية بمكان في أي زواج ثان الا يكون الاطفال متمتعين او مستائين . وأنا لم تسنح لي الفرصة بعد كي اتعرف على ليزا قبل ان آخذ منها والدها ولو بصورة جزئية » .

« الاطفال يا عزيزتي مخلوقات قابلة للتكيف وابنتي بحاجة لام ، لانسانة يمكنها ان ترتاح اليها وتكشف لها عن اسرار قد تخجل او تمتنع عن الافضاء بها لابيها . صدّقي يا تينا انني كنت أفكر بها ايضا عندما

اخترت الزواج منك . فكونك طفلة يتيمة يجعلك تشعرين اكثر من غيرك مع اطفال في وضع مماثل . وانت تعرفين ايضا كيف يشعر اي طفل يحرم من حنان الأمومة وعاطفتها . وليزا طفلة ذكية ، وسوف تدرك على الفور الرابط القوي الذي يجمع بينكما » .
« اذا كانت ليزا مثلك يا جون ، فاني متأكدة من انني سوف . . . اقيم معها علاقة طبيعية وطيبة » .

لم تتمكن من استخدام كلمة حب . لم ترد ان تكشف له عن عمق مشاعرها نحوه ، وبخاصة بعد ان اخبرها صراحة ان سبب اختياره لها زوجة كان بدافع الاهتمام بحاضر ابنته ومستقبلها ! وفي طريق عودتها قالت له بهدوء :

« كان علينا ان نصوّر فندق . . . شهر العسل » .

« يمكنك ان تفعل ذلك في الصباح ، ايها الصغيرة » .

ثم أضاف بشيء من الجدية :
« لا تأخذي مني موقف الدفاع يا تينا . فانا لا انتظر اغراء امرأة مجربة ومحنكة من فتاة بمثل تربيتك وتهذيبك . ولعلوماتك ، فالبراءة لها فتنتها وسحرها . . . واغراء خاص بها » .

« اريد ان أكون زوجة لا تخيب ظنك او آمالك » .

« الزواج ، كما قلت لك سابقاً ، مقامرة بالنسبة للزوجين . وربما خاب أملنا نتيجة لهذه القفزة التي قمنا بها معاً في ظلام المجهول » .

تأملت . . . تأثرت . . . هل يفكر بجوانا والسعادة التي تقاسماها ؟ هل يتوقع الا تكون حياته مع تينا شبيهة بحياته مع جوانا ؟ ودخلا الفندق فيما كان العمل قائماً على قدم وساق استعداداً لتقديم العشاء الى النزلاء . ارتدت تينا الملابس التي اقترحتها جاي لعشاء هذه الليلة بالذات . وتذكرت ما قالته لها من ان توتر الأعصاب في الليلة الأولى لا يقتصر على النساء فقط ، فكثيراً ما يكون الرجال . . . حتى المجرب والمحنك بينهم . . . متوتري الأعصاب الى درجة مماثلة ، ولا

بأس من تهدثتهم وتلطيف أعصابهم بارتداء ملابس معينة. توجهت الى النافذة وراحت تتأمل الحديقة الجميلة وتنشق الروائح العطرة التي تنبعث منها. سمعت طرقاً على الباب الذي يفصل بين غرفتيها فلم ترد او تلتفت الى الورا. ارادت ان يقترب منها ويطوقها بذراعيه ويشم الرائحة الطيبة التي عطرت نفسها بها. ولكنه لم يدخل الغرفة، بل سألها:

«ألا تتوين النزول معي للعشاء؟ اني اتصور جوعاً». وفيما كانا يتبعان نادلا الى طاولتهما سمعت سيّدة مسنة تقول لزوجها:

«ما اجمل هذين النزيلين الجديدين! انها بلا شك رجل وابنته يمضيان عطلتها معاً».

ارادت تينا ان تنشق الارض وتبتلعها. وعندما تجرأت اخيراً ونظرت الى جون لتأمل رد فعله على تلك الملاحظة، شاهدت وجهه متوتراً ترتسم عليه ملامح القسوة. تناولوا طعامهما بصمت تام وكانت تينا حزينة ومتضايقه بحيث لم تتمتع بالعشاء الشهى، فيما كان جون يأكل بحماسة ودون انفعال. وبعد شرب القهوة، اقترح عليها جون ان تذهب الى النوم... اذا كانت ترغب بذلك، وهو سيمشي قليلاً في الخارج ويدخن غليونيه. وقفت وهي لا تدري ماذا تفعل. انها ليلة عرسهما، ومع ذلك لم تبدر منه اشارة دفء او حنان. «اني متعبة قليلاً. هل سارك... في وقت لاحق الليلة؟».

«اذا كنت نائمة عند عودتي فلن ازعجك».

نامت بعد عشاء وحلمت بأن بعض الأصدقاء يقيمون لها حفلة عيدها الحادي والعشرين. وتاهبت لاطفاء الشموع... وافاقت من حلمها وهي تنادي زوجها بطريقة لاشعورية. دخل غرفتها وكان على ما يبدو قد عاد من نزهته، وقال لها بحنان واضح:

«عودي الى النوم يا حبيبتي. كان هذا يوماً طويلاً ومرهقاً بالنسبة

لك. وغداً سئمضي الساعات الطوال في السفر المتعب والمضني».

ومع انه استخدم تلك الكلمة الرقيقة، الا انها احست بأنه يتحدث الى طفلة... الى ليزا؟ ولكنها ليست طفلة... انها زوجته! رمت الغطاء عنها بعصبية عندما ادار ظهره وعاد الى غرفته، ولحقت به حافية القدمين وهي تقول له بشيء من الحدة:

«جون، لا تعاملني كطفلة! عندما كنا في السيارة، كنت... كنت مختلفاً! اني مستعدة لآكون زوجة لك، لا مجرد رفيقة او صديقة. اريد مساعدتك لكي تنسى...».

«أنسى ماذا؟».

«أنت... أنت تعرف!».

نظر اليها بقسوة ظاهرة وقال بعصبية:

«زواجي الأول؟ هل هذا ما تشيرين اليه؟».

تراجعت الى الورا خائفة من تلك النظرات القاسية وبدا انه رجل غريب قادر على القيام بأي شيء. امسك بكتفها وقال لها:

«الحديث عن زواجي الأول لا يأتي بسهولة يا تينا. وربما عليك ان تعرفي الآن وليس في وقت لاحق ان هناك اموراً أفضل ان تبقى طبي الكتمان. اذا ظلت هذه الأمور علي ما هي فانها لا تؤذي كثيراً. اما بالنسبة لنسيانها، فاني أشك كثيراً في امكانية ذلك».

«أنا... أنا آسفة جداً... يا جون».

لم تكن الكلمات كافية ولم تتمكن من منحه حبها. لم تقدر ان تقول له انها تريده بالرغم من كل شيء. وارتعش جسمها عندما ابعدها عنه برفق قائلاً:

«عودي الى سريرك يا تينا. انك تبدين مرهقة جداً».

«جون... هل ندمت على هذا الزواج؟».

«اعتقد انها فكرة جيدة ان يتعرف كل منا الى الآخر بطريقة

افضل. هذا ما تفضليته أنت، اليس كذلك؟
هزت رأسها وهي تعلم ان هذا ما يريد هـ...
«هيا، لاضعك في السرير».

حملها بين ذراعيه ووضعها في سريرها برفق وحنان ثم ازاح
خصلات من شعرها عن عينيها قائلا:
«تصبحين على خير يا عزيزتي».

ظلت تنظر اليه كطفلة صغيرة تتطلع الى والد محب وحنون. احنى
رأسه وهو يتنسم ثم طبع قبلة خفيفة على جبينها وغادر غرفتها دون ان
ينظر ورائه.

وهكذا... انتهى يوم زفافها!

٤ - سانت مونيك... وبيتها

نظرت تينا الى النافذة وعبرها الى الفضاء المحيط بالطائرة
الضخمة، التي كانت تقلها الى بيتها الجديد وحياتها الجديدة. ولم تعد
تسمع حفيف اوراق الصحيفة في يدي جون، فعلمت انه توقف عن
القراءة وراح يحدق امامه يفكر بالجزيرة وبكل ما يحبه فيها، وما
يجرح. عضت شفتها بقسوة وتمنت لو ان ليلتها الاولى كانت
مختلفة... كانت بعض الحواجز ستتهار، وكانت ستضع رأسها على
كتفه وتشعر بانها زوجة حقيقية...

«هل انت متوترة الاعصاب يا تينا؟»

كان يمسك يدها ويشد عليها، وكانت ابتسامته توحى بحزن
وأسى. اعترفت له بشيء من الحقيقة قائلة:

«قليلاً».

«سوف تهدأ اعصابك قريباً، اذ اشك في ان تكون ليزا خجولة جداً معك... ان كان هذا ما يقلقك. فعندما تلاحظ حداثة سنك، ستعتبرك على الأرجح صديقة ورفيقة احضرها لها والدها المحب من لندن».

احسنت تينا بأن تلك اللهجة المرحية المشجعة تخفي وراءها شيئاً من الجدبة. وشعرت بأن جون ربما كان يعيد النظر بجدوى زواجهما، وخاصة بعد الملاحظة السخيفة التي سمعها من تلك السيدة العجوز، والتي اشارت اليهما كرجل وابنته. وارادت تينا ان تقول له صراحة انها لا تشعر من قريب او من بعيد انها كابنته، ولكن الطائفة ليست المكان المناسب كما ان الوقت ليس ملائماً. كل ما كانت تأمل به في تلك اللحظات هو ان تتحسن الأمور بينهما بمجرد استقرارهما في الجزيرة. يجب ان تتحسن الأمور! انه يعني لها كثيراً... اكثر بكثير مما يمكنها وصفه بالكلمات! وحاولت تينا ان تبدل افكارها عن الأمور الخاصة والاحاسيس الدفينة، فراحت تمطره بأسئلة عن الجزيرة. وبدا انها نجحت في مهمتها، اذ ظهر الارتياح على وجه جون وهو يخبرها عن البيت والعمال المحليين ويقول الحمضيات الضخمة التي يديرها ابن عم جوانا، رالف كاريش. و اضاف:

«ورثت البيت والأرض عن عم عازب. عائلة تريكارل مشهورة بحب ابنائها للترحال والمغامرة. وكان احدهم ضابطاً على السفينة التي اكتشفت الجزيرة قبل سنوات عدة. استقر هناك كمزارع وكان آخر احفاده عمي الذي ورث عنه جميع ممتلكاته. انا... انا اعمل في الجزيرة وهذا هو احد الاسباب التي جعلتني امضي فيها معظم الوقت. ورالف مدير اعتمد على اخلاصه وحسن درايته، ولذلك فاني لا اقلق ابداً بالنسبة لسير العمل هناك».

تذكرت ما قالته لها جاي عن بولا كاريش والاشاعات المغرضة

التي تداولتها اللسان الخبيثة عن علاقتها المزعومة بجون. وكأنه شعر بما يدور في رأسها من افكار، فمضى الى القول:

«سوف تتعرفين على رالف وشقيقته بولا التي تعيش معه وتهتم بأموره. بيتها جميل وكبير. ولأن بولا فنانة موهوبة، فقد حولته الى تحفة رائعة. سوف يعجبك رالف كثيراً».

لاحظت تينا من الجملة الأخيرة انه لا يتوقع قيام علاقة طيبة بين الفتاتين، وهذا امر معقول جداً! فاذا كانت بولا تريد جون لنفسها، لن تشعر بسعادة فائقة عندما تلتقي زوجته الجديدة! ثم سألتها: «كيف كنت تمضين وقت الصيف، يا تينا؟».

«كنا نعيش قرب البحر وكانت عمتي مود مقتنعة بأن لا ضرورة لذهابنا الى اي مكان اخر».

«يبدو انك حرمت من جميع انواع اللهو والتسلية، ويبدو ان الوقت قد حان لتصحيح الأوضاع من كافة النواحي. فهناك يمكنك ان تمارسي انواعاً عدة من الرياضة كالسباحة وكرة المضرب وغيرها. كما اني سأعلمك ركوب الخيل وقيادة السيارات. لدينا سرعة قصوى محددة بخمسين كيلو متراً في الساعة، وذلك حرصاً على السلامة العامة وافساح المجال امام الناس للتمتع بالمناظر الخلابة الساحرة».

«هل هذا احد الاسباب التي تجعلك تفضل السكن في الجزيرة؟».

«بكل تأكيد».

ثم ابتسم وسألها فجأة:

«الا تضعين احمر الشفاه؟».

نظرت اليه بخجل وتردد وسألته بدورها:

«وهل تريدني ان اضع احمر شفاه؟».

بدت عليه مسحة من الدهشة وقال لها:

«يجب ان تفعلي ما يسرك ويريحك في مثل هذه الأمور. ام انك

تظنين انني طاغية متعطرسة؟».

«طبعاً لا! ولكنك قد تكون احد اولئك الرجال الذين لا يحبون مستحضرات التجميل».

واظهرت هذه الملاحظة مدى ضعف معرفتها به وبما يحبه، اذ قال لها:

«يمكنني ان اقبل بها ان كانت بكميات قليلة. واعتقد انها ليست ضرورية ابداً للشباب بمثل سنك».

«او، كم اتخى ان اكون اكبر سنًا!».

«تخلي عن القلق وخذي الأمور كما تأتي».

واستند رأسه الى الوراء بعد ان اشعل سيكارة وراح ينفث دخانها بهدوء وراحة. انه يحذر قلبها بطريقة غير مباشرة، وهو على حق. يجب عليها ان تأخذ الأمور على طبيعتها وتتخلي عن طيش الشباب واندفاعه اللذين يطالبان بكل شيء في وقت واحد... وبخاصة الحب! نظرت الى ساعتها فلاحظت انه لا يزال امامها ثلاث ساعات قبل الوصول الى جامايكا. اغمضت عينيها وراحت تفكر بالجزيرة وليزا... وغلبها النعاس، فنامت.

ابقظها جون وابلغها بأنهما على وشك الوصول وبأن زورقه السريع سينقلهما من جامايكا الى سانت مونيك. ارتجفت يداها فتولى هوشد حزامي الأمان. هبطت الطائرة وطلبت احدى المضيفات من المسافرين البقاء في مقاعدهم بعض الوقت لحين حصول موظفي الشركة على موافقة دوائر الصحة بانزائهم. وامضى جون وتينا ساعة كاملة بعد نزولهما من الطائرة بين عشرات الركاب والموظفين والمسؤولين في قاعة الوصول، حتى انتهاء من معاملاتها واستلام حقائبها. اوما جون الى اثنين من العمال الذين نقلوا حقائبها الى احدى سيارات الاجرة. انطلقت السيارة بهما الى مرفأ العاصمة حيث كان احد ابناء الجزر الاصلين بانتظارهما قرب الزورق.

«هذه زوجتي يا جو».

ابتسم الرجل العملاق بود وخجل ورفع قبعته محيياً:

«اني سعيد بمعرفتك يا سيدتي. آمل في ان نمضي اجمل الاوقات واحلاها».

ابتسمت له وهزت رأسها رداً على تحيته وكلامه المهذب المشجع، فيها سمعت جون يسأله:

«وليزا؟ كيف حالها؟».

«الآنسة الصغيرة بخير ايها السيد، وهي متشوقة جداً لرؤيتك. كانت تقفز وترقص وتغني طوال اليوم».

وانطلق الزورق بسرعة يشق سطح الماء ويترك وراءه خندقاً طويلاً ينعكس عليه ضوء القمر باشكال هندسية مختلفة ورائعة. وفيما كان الرجلان يتحدثان عن أمور عدة، راحت تينا تتأمل البحر والقمر والنجوم... وهي في طريقها الى... بيتها. قبل اقل من اسبوعين كانت لا تزال في تشوري، تعد العدة للتوجه الى لندن بحثاً عن وظيفة في احد المكاتب. وكان ذلك اقصى ما ترجمه فتاة مثل تينا مانسون، الفتاة الحجولة التي تخلصت اخيراً من طغيان عممتها المعقدة والحاقدة. اما الآن... فهي على متن زورق سريع يشق طريقه في مياه الكاريبي وتحت سمائه الصافية المزروعة بالنجوم الساطعة. واكثر من ذلك، فهي متزوجة من رجل جذاب... مزعج احياناً... غريب يلاحقه شبح زوجة راحلة! هل تخلصت من علاقة مع عمة مسنة لا تعرف الحب لتدخل عالماً آخر قد يشبه انه اشد ايلاماً وتحطياً لقلب المحب المخلص؟

كان الطاهي في سانت مونيك قد زود جو بكمية لا بأس بها من المأكولات وزجاجات العصير والقهوة. فالرحلة من جامايكا تستغرق بضع ساعات. شربت تينا القهوة الطازجة الشهية وهي تشعر بارتياح كبير. حبيبها يجلس قربها في ضوء القمر، وصوت المياه التي تضرب جانبي الزورق موسيقى حاملة تداعب اذنيها وقلبها. انه الآن لها... لها وحدها. ولكنه بعد قليل، سيصبح لها ولغيرها... لأشخاص قد يتمتعون لوجودها ويحاولون نبذها او على الأقل مضايقتها! ليزا،

مثلاً! فطوال السنوات الثماني الماضية كان والدها لها وحدها، وها هي الآن مضطرة للتخلي عن بعض ما تتصوره حقاً مكتسباً وأمرأً طبيعياً لا جدال فيه... وهو ان حبه لها وحدها ويجب الا تشاركها فيه امرأة غريبة! وارتعش جسمها قليلاً وهي تراه يحرق في البعيد. هل يفكر بجوانا؟ هل يجب ان يكون الوضع دائماً على هذا النحو... قلبه وافكاره مع جوانا حتى عندما يضمها هي بين ذراعيه؟ وسمعته يتمتم:

«للبحر رائحة رائعة. هل تحبينها؟»

«جداً. هل جميع الليالي في المناطق الاستوائية تكون دائماً معتدلة ومنعشة؟»

«معظم اوقات السنة. الا ان هناك بعض العواصف القوية والأمطار الغزيرة، كما اننا نتوقع حدوث اعصار او اعصارين في منتصف فصل الصيف. اما على العموم، فسانت مونيك جنة صغيرة ستعجبك كثيراً. عرفت ذلك عندما التقيتك للمرة الأولى في تشورلي. هل تذكرين؟»

ابتسمت لنفسها... وهل ستنسى ذلك اللقاء الذي قلب حياتها رأساً على عقب؟

هزت رأسها وقالت له بنعومة:

«طبعاً أتذكر. فعندما اخبرتنني عن سانت مونيك وقعت بحبها».

وكان كلمة حب لفتت نظره واثارت اهتمامه، فقال لها بهدوء:

«سألتني الليلة الماضية ان كنت نادماً بأي شكل من الأشكال على زواجنا. فهل انت نادمة على ذلك؟»

وتردد قليلاً ثم اضاف:

«اعني... انك شابة في مستقبل العمر وذات مشاعر عاطفية،

ويمكنني ان اتفهم بسهولة انك كنت تفضلين علاقة حب وغرام قبل اقدامك على الزواج».

احتنت رأسها خجلاً وقالت له مؤكدة:

«اني راضية تماماً عما حدث. انا اردت الزواج...»

«من الواضح ان ذلك يعود الى الوحدة، وهذه هي الصفة المشتركة التي تميز حياة كل منا. هل ستؤدي الى صفات اخرى اكبر واهم؟ ربما، ولكن ليس الآن. ارجو ان يتم ذلك في وقت لاحق، عندما نتعرف على بعضنا بشكل افضل. هل تعتقدن ان ذلك ممكن؟»

تمنت من كل قلبها ان يصبح ذلك حقيقة واقعة... وبأسرع وقت ممكن.

«الوضع الذي نمر فيه حالياً دقيق وحساس. ولذلك فمن الأفضل ان نعتبر نفسينا شخصين خاطيين تتطور العلاقة بينهما وتقوى بسرعة يجب الا تخيفك. كنت خائفة الليلة الماضية، اليس كذلك؟ عندما اقترحت عليك الذهاب الى الفراش نظرت الى كجندي صغير شجاع بعد نفسه لمغادرة موقعه الأمين الى الخطوط الأمامية... الى المصير المجهول! يا طفلي الصغيرة، اعرف تماماً كيف كنت تشعرين!»

ارادت ان تصرخ بنفي صريح واضح... ان تقول له انها تحبه... تريده... امسك كفيها المرتعشتين واصل قائلاً بلهجة الأمر:

«يكفي ما بحثناه حتى الآن. لندع الأمور تأخذ وقتها ومجراها. وان لم تستقم الأمور بيننا، فثمة علاج للمشكلة».

اي علاج؟ الطلاق؟ تصحيح الخطأ الفادح بزواجه منها؟ شعرت بالخوف... بالهلع! انه يعتقد انها تزوجته للسبب ذاته الذي حمله على الزواج منها، ولذلك فانها ستحرجه وتربكه اذا كشفت له عن حبها له. انه رجل ذو شهامة يتميز بالاستقامة والكرم وسوف يتأثر جداً اذا علم انه يؤلمها ويؤذيها لعدم قدرته على مبادلة حبها بحب مماثل. انه يظن الآن ان بإمكانها اقامة علاقة عملية مبنية على الاحترام المتبادل والحاجة المشتركة... انه لن يعترف ابداً بأن مشاعر الحب ماتت في قلبه يوم مقتل جوانا! لم تكن بحاجة لأن

تسمعه يقول ذلك، فهي تقرأ تلك الكلمات على وجهه وفي نظراته الحائرة...

«اهلاً بك الى سانت مونيك، يا تينا. جو، اترك جميع الحقائق في الزورق حتى الصباح. اعطني فقط هذه الحقيبة الصغيرة، فزوجتي تحتاج اليها. شكراً! والآن، عد الى بيتك، والا فان توباز ستغضب مني».

ضحك جو ثم احنى رأسه وقال لها قبل ان يسرع عائداً الى بيته: «على الرحب والسعة، يا سيدتي. تصبحان على خير». امسك جون بذراعها وسارا على الرمال الناعمة نحو درج نحت في الصخر يؤدي الى فسحة كبيرة. شدت اصابعه على ذراعها وسمعتة يقول لها:

«اننا على وشك الوصول الى بيتنا ويمكنك خلال فترة قصيرة ان تنامي وترتاحي من عناء هذه الرحلة الطويلة». وجهت اليه ابتسامة ناعسة وهي تشكر الظروف لأنها يصلان في مثل هذا الوقت المتأخر كيلا تضطر للقاء ليزا والآخرين وهي مرهقة على هذا النحو. وما ان لاحظت انها يقتربان من الباب الخلفي، حتى سمعتة يضحك ويقول:

«انه فرار معاكس، اليس كذلك؟ فبدلاً من ان يهرب المحبان السعيدان من بيتيهما ليلاً كي يتزوجا، ها نحن قد تزوجنا وأتينا الى بيتنا نتسلل ليلاً من الباب الخلفي. هذه نتيجة زواجك من نحات بوهيمي، يا تينا».

«اعتقد ان ذلك رومانطيقي للغاية، واكثر اثاراً من وصول عادي وتقليدي في وضع النهار...».

«حيث يقف الخدم على جانبي المدخل الرئيسي لتحية الزوجين السعيدين؟».

هزت برأسها خجلاً فقال:

«يا للطفلة الصغيرة!».

وعلى الرغم من تلك الساعة المتأخرة وامل تينا في الا تلتقي احداً قبل الصباح، الا انها سرعان ما اكتشفت ان ثمة اشخاصاً مصممون على ملاقاتها. فبمجرد دخولها، استقبلها خادم حياهما بتهذيب واحترام وابلغها معترداً عن السيد رالف وشقيقته اللذين ينتظرانها في قاعة الاستقبال للترحيب بهما.

«اوه، لا! اني آسف يا عزيزتي، ولكن يبدو ان هناك لجنة استقبال للترحيب بك. واخشى الا يكون بإمكانك انفاذك من هذه الورطة الموقته، وبخاصة ان رالف هو افضل اصدقائي واقربهم الي. وبالنسبة لبولا... فليس هناك داع لمعاداة اقرب جارائك اليك. هيا، فهما لن يبقيا طويلاً بعد الترحيب بنا».

سار امامهما الخادم الكهل، الذي يشرف على معظم اعمال المنزل، وفتح الباب المؤدي الى قاعة الاستقبال الضخمة ثم تنحى جانبا. دخلت تينا القاعة بخطى متعثرة فيما كان جون يتبعها على بعد خطوتين بعد ان طلب من ثنائيل ان يذهب الى النوم. احمر وجهها بشدة عندما استقبلتها نظرات اهتمام من رجل هب واقفاً والبسمة تعلو وجهه. وفي مقعد مواجه كانت تجلس شابة شعرت تينا، حتى مع خبرتها القليلة والمتواضعة، انها لا تحتاج الى وجه جميل كي تجذب الرجال وتشدهم اليها. وقفت بولا ايضاً للترحيب بالزوجين القادمين، فبدت طويلة جداً... كعارضة ازياء. ولاحظت تينا ان نظرات بولا تعكس قدرة خارقة على تحطيم قلوب الرجال! انها ليست جميلة... ولكن انوثتها جذابة وساحرة. هل ستنجح في الاحتفاظ بجون امام هذه... هذه القطة الشرسة؟ هل ستتمكن من التصرف كسيدة هذا... هذا القصر؟ وخفت حدة التوتر قليلاً عندما تصافح الرجلان بحرارة وقال جون لرالف مشيراً الى زوجته: «هذه هي تينا».

ثم التفت اليها قائلاً وهو يشير الى صديقه المفضل:

«تينا، اعرفك برالف الذي ستلتقين به كثيراً في المستقبل».

صافحها رالف بحرارة وقال بلهجة ودية صادقة:

«اني سعيد بمعرفتك يا تينا. اهلا بك».

ردت الابتسامة بالمثل ثم نظرت الى ابنة عم جونا... تلك الممثلة القديرة التي اخفت من نبرتها اي دلالة على العداء او الازدراء عندما قالت لجون مازحة:

«ايها الوغد! عندما استلمنا برقيتك اعتقدنا الى حد ما انك نمزح».

وضع جون يده على كتف تينا قائلاً لبولا:

«ها هو الدليل القاطع الذي يثبت العكس».

ابتسم رالف وقال ضاحكاً:

«لماذا لم يكن لي حظك الطيب عندما اخذت اجازتي؟ جميع الفتيات اللواتي التقيت بهن كن مهتمات بالحفلات والسهرات ليس الا».

علقت شقيقته على تلك الملاحظة بالقول وقد علت ثغرها ابتسامة غريبة:

«العازب، يا شقيقي الغالي، اكثر خبرة ومهارة من الارمل في الحفاظ على حرته وعزوبته».

لاحظت تينا بانزعاج ان بولا تحديق بجون معظم الوقت وهو يرد نظراتها بالمثل. وتساءلت بحزن وضيق بالغين عن تلك الدوافع المذهلة التي حملته على معاقبة بولا بزواجه من فتاة بسيطة مثلها! هل هدفه الانتقام من بولا، التي كانت مع جونا على اليخت عندما وقعت وتوفيت؟

«اجلسي يا تينا!».

حاولت ان تستريح في ذلك المقعد الوثير وان تركز اهتمامها على تأمل تلك الغرفة الفسيحة واثاثها. ولكن السكون لم يجيم طويلاً، اذ سمعت رالف يقول لها ولجون بصديق واخلاص واضحين:

«اتمنى لكما ايها العزيزان حياة طويلة ملؤها السعادة والهناء».

واضافت شقيقته بصوت هادي:

«اني آمل ان تكونا سعيدين!».

نظرت تينا الى جون ولاحظت انه سمع مثلها جملة بولا وكيفية تشديدها على الكلمة الثانية. لماذا استخدمت تلك الكلمة بالذات؟ هل لديها اي شعور بانها لن يكونا سعيدين في حياتهما؟

وسمعتها تسأل جون بخبث:

«اتصور انك زرت ديفون، اليس كذلك؟».

«لا، لم اصل الى الريف الغربي».

«تصورت ذلك لان تينا تتحدث بلهجة ابناء الريف. اعتقدت انها ربما...».

«تينا من سكان سوسكس».

«انها احدي اجمل مناطق البلاد. هل كنت تعيشين قرب البحر يا تينا؟».

قبل ان تتمكن تينا من الاجابة سمعت بولا تقول بدلال مصطنع:

«كما في تلك الأغنية المشهورة... بنت الشاطئ!».

تجاهلت تينا هذه الملاحظة ونظرت الى رالف بشيء من الاعجاب، قائلة لنفسها انها لو كانت شقيقته لكانا افضل بكثير منه وبولا. اذ انه يبدو انساناً طيباً ومخلصاً لا يعرف المراوغة والخبث اللذين يبدو ان اخته تتميز بهما. ابتسمت له واجابت بهدوء:

«نعم، كنت اعيش قرب البحر».

«عظيم. يجب ان نتفق من الآن على موعد للسباحة».

ضحكت بولا وقالت لجون:

«انتبه لهما يا جون! يبدو ان هذين الشخصين يعملان منذ الآن على تشكيل ناد للاعجاب المتبادل!».

رد عليها جون بهدوء وشيء من الجدبة:

«اعتقد ان بامكاني الوثوق برالف».

ثم التفت فجأة الى الوراء عندما احس بباب القاعة يفتح بقوة

وتدخل منه فتاة صغيرة تفرك عينيها.

«ليزا!»

وهب واقفاً وهو يفتح ذراعيه بحبة وحنان لاستقبال ابنته الحبيبة التي اندفعت نحوه بقوة ولهفة. احتضنها بحرارة ورفعها ثم بدأ يلف ويدور بها، فيما كانت هي تطوق عنقه وتقبله قائلة:

«أبي! أبي، حبيبي!»

قبلها مرات عديدة وقال لها:

«اشتقت اليك كثيراً يا طفلي الحبيبة!»

ثم ابتسم وأضاف مازحاً:

«من المفروض ان تكوني نائمة منذ ساعات، ايتها الساحرة الصغيرة!»

ردت عليه ودموع الفرح تنساب على خديها:

«لم اتمكن من النوم... كنت متلهفة جداً لرؤيتك! أوه، أبي،

اني سعيدة جداً بعودتك الى البيت!»

«وانا ايضاً يا حياتي... كنت متشوقاً جداً للعودة اليك، ولكن حدثت تطورات عدة اخترتني بعض الوقت. ماذا كان رأيك بانباتي؟»

تمتمت ببضع كلمات، فنظر جون الى تينا التي وقفت لاستقبال الفتاة الصغيرة. كانت تأمل في لقاء ليزا بحضور جون فقط. لم يزعمها وجود رالف... ولكن بولا كانت تنظر بفضول وترقب وكأنها تأمل في ان يكون رد فعل ليزا عدائياً. احست تينا بالحيرة والدهشة، وبدت كالطفلة الصغيرة التي انزلها والدها الى الأرض وهو يقول لزوجته باسماء:

«هذه هي طفلي الحبيبة يا تينا».

شعرت تينا برغبة جاعحة لوضع ذراعيها حول الرجل والفتاة وتقديم كل المحبة والحنان التي تقدر على منحها. وشاهدت جون يضغط على كتف ابنته ويقول لها مشجعاً:

«هيا، اذهبي وسلمي على تينا».

اقتربت الفتاة منها بخطى مترددة بعض الشيء ثم مدت يدها وقالت:

«كيف حالك يا آنسة... اعني... يا تينا؟»

ابتسمت تينا وسألت الفتاة الصغيرة بصوت هادئ وناعم:

«هل تسمحين لي بتقبيلك يا ليزا؟»

ابتسمت ليزا وادارت لها خدها بحياء فقبلتها تينا بحنان. عادت الفتاة الصغيرة الى والدها الذي حملها مرة ثانية وطلب منها ان تمنى ليلة سعيدة للجميع ثم اخذها الى غرفتها. وتذكرت تينا بأسى ان هذا ما حدث معها بالضبط في الليلة السابقة. ابتسم لها رالف وقال مشجعاً:

«يبدو انك مستقيمين علاقة طيبة مع الصغيرة. انها فتاة طيبة للغاية، وهي تشبه والدها اكثر من...»

وتوقف عن اتمام جملته وظهر الخجل واضحاً على وجهه. ولكن اخته قالت له:

«انه ما كنت تود قوله يا رالف... ان ليزا لم ترث الكثير عن جوانا. فهي لم تأخذ جمال امها او تلك النزعة القوية لتوجيه حبها كله الى ناحية واحدة».

نظر رالف الى شقيقته بشيء من الضيق والقلق وقال:

«ليزا طبيعية اكثر. على اي حال، يجب ان نذهب الى البيت بمجرد عودة جون. يكفيهما معاناة وارهاقاً هذا اليوم، ويجب الا نؤخرهما طويلاً».

نظرت بولا الى تينا وسألتها بهدوء:

«انصبر انه لم تسنح لكما فرصة طويلة لتمضية شهر العسل، اليس كذلك؟ بالمناسبة، منذ متى تعرفين جون؟»

«منذ فترة كافية».

قالت بثقة اكبر بعد ان التقت ليزا وحقت معها بعض النجاح.

وشكرت تينا الظروف لأن الفتاة الصغيرة لن تكون مشكلة إضافية بالنسبة لها، كما ان من الواضح ان رالف كاريش يؤيدها ويساندها. انه مخلص لجون، ومن المؤكد انه سيكون صديقاً أميناً لها ايضاً. وكأنه علم ان اسمه يرد في تفكيرها، اذ قال لها فجأة:
«اننا نعيش على بعد خمسة كيلومترات يا تينا وسوف نتطلع مقدماً لزيارتك لنا. سوف اريك حقول الحمضيات، التي اشعر بالتأكد انك ستفرحين بمشاهدة اشجارها ومعمل العصير فيها».

ظهر الاهتمام الحقيقي على وجهها وقالت له مبتسمة:
«هذا موعد بيننا».

«انها احدى اكثر الحقول انتاجاً في الجزيرة و...».

وتدخلت بولا قائلة:
«وجون يجني منها مبلغاً لا بأس به على الاطلاق».

كان واضحاً من الطريقة التي تأملت بها، من رأسها حتى الخصر قدميها، انها تغار من هذه الفتاة القادمة من الريف... او انها تعتقد على الأقل ان تينا تزوجت جون بسبب ماله. وشعرت تينا بموجة عداة تجاه هذه الانسانة المذهلة، وقالت لنفسها ان من المستحيل اقامة صداقة حقيقية معها. وبدا لها انها ستكونان عدوتين، وانها قد لا تتمكن طويلاً من مواجهة هذا الخصم الخبيث والمحنك. واحست بشيء من الارتياح عندما شاهدت جون يعود مبتسماً ثم يقول:
«واخيراً... نامت القردة الصغيرة».

واضاف موجهاً كلامه هذه المرة الى تينا بالذات:
«يبدو ان اجتماعك بليزا تم بشكل طيب، اليس كذلك؟ يظهر ان الحظ كان مساعداً الى حد ما».

علقت بولا على ذلك بالقول:
«ربما ساعد على ذلك صغر سن تينا الواضح».

ثم اضافت مبتسمة:
«اثناء غيابك يا جون، انضم الى مجتمع جزيرتنا الصغير رجل

فرنسي عازب. هل من الممكن ان ادعوه مرة الى احدى السهرات هنا؟».

«بكل سرور. ماذا يفعل هذا الرجل في سانت مونيك؟ هل يمضي عطلة؟».

«انه رجل غني يا عزيزي، يفعل ما يسره ويذهب الى حيث يمكن ان يقضي وقتاً طيباً: انه شخصية مثيرة، اليس كذلك يا رالف؟».

ضحك شقيقها واجابها قائلاً:

«انصور ان هذا ما تصفه به معظم النساء، اللواتي يقعن عادة بشراك صيادي القلوب».

«حقاً؟».

قالت بولا وهي تتعمد النظر الى جون. ثم وقفت وهي تضيف قائلة:

«الى اللقاء يا جوني... ويا تينا».

وفيا كان رالف يتمنى لتينا ليلة سعيدة، احست بأنها تعرف ما يدور بخلده. انه متضايق جداً من مشاعر اخته تجاه جون، وبخاصة بعد زواجه. ابتسمت له تينا بثبات وتفهم، فارتاحت اعصابه قليلاً وقال لها مودعاً:

«اسعدني جداً التعرف اليك يا تينا».

ثم صافح صديقه ورب عمله وغادر وشقيقته بيت تريكارل يرافقه ناثانيل حتى الباب الخارجي. وبعد لحظات سمعا صوت محرك قوي وانطلاق سريع. ابتسم جون وقال:

«بولا هي التي تقود السيارة الآن!».

ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها مضيقاً:
«يبدو ان رالف اعجب بك كثيراً. انه شاب طيب وظريف، اليس كذلك؟ انكما تشبهان بعضكما كثيراً».

«لماذا، هل انا طيبة وظريفة؟».

وجهت اليه هذا السؤال وقد علت ثغرها ابتسامة خجل وحياء.

فهي تعرف الآن، بعد ان التقت بولا، ان عليها خوض معارك ضارية ومتواصلة للاحتفاظ بزوجها. اذ ربما توجد لديه رغبة دفينه تجاه هذه المخلوقة الجذابة... التي وقفت تتفرج على ابنة عمها وهي تغرق... والتي كانت تريده وتشتهيه آنذاك، ولم تتوقف ابداً عن تلك الرغبة منذ ذلك الحين! ابعد جون خصلة من شعرها الى ما وراء اذنها وسألها:

«هل تحاولين اغرائي؟»

وراقبها بمرح لأنه كان يعرف مسبقاً ان وجنتيها مستحمران خجلاً وحياء... اللعنة! احمر وجهها على الرغم من محاولاتها الجاهدة لمنع ذلك! ضمها الى صدره وهمس باسمها مرتين فيما كان يداعب شعرها. ثم قال لها بهدوء وحنان:

«انك ستنامين وانت واقفة، يا صغيرتي. هيا بنا الى الفراش!». صعدا السلم الخشبي العريض نحو غرف النوم، فأحست في تلك اللحظة بانها حقاً في بيتها. قد تكون هناك بعض المشاكل، وقد تواجه بعض المصاعب قبل ان يتحقق الاستقرار الفعلي المنشود... ولكنها فتاة جريئة، ومفعمة بالامل.

كانت تفصل بين غرفتيهما قاعة صغيرة... وكانت غرفتها معدة وجاهزة. كل شيء في مكانه... كل شيء جديد، وكان جون ابرق بتعليمات محددة لاعداد غرفة نوم عروسه على هذا النحو الجميل والجذاب! هل كانت هذه غرفة جوانا؟ اعدت تينا نفسها للنوم. كانت متعبة ومرهقة، ولكن توتر اعصابها دفعها الى الذهاب الى الشرفة حيث وقفت تتمتع بالنسيم العليل ورائحة الياسمين الزكية. وفجأة شاهدت جون يخرج الى شرفة القاعة الصغيرة ويقول لها بدمائة واضحة:

«هل تشعرين بشوق الى الوطن؟»

«لا، ابداً. كنت اتمتع بنسيم الليل قبل النوم. الطقس جميل ودافئ».

ابتسم وسألها بهدوء:

«كيف وجدت ليزا؟»

«انها مثلك يا جون».

وكادت نظراتها تفضح مشاعرها واحاسيسها، فتطلعت نحو الحديقة الغناء وسألته بتردد:

«هل قالت لك شيئاً عني؟»

اجابها بصوت غلب عليه حبه لابتته:

«قالت انك صغيرة، وانك تبدين انسانة طيبة وحساسة. الم اقل لك انك لن تجدي صعوبة تذكر في اكتساب ودها ومحبتها؟».

ردت عليه بصوت ضاحك ومرتحف:

«انه لخبر يفرح النفس ويريحها الى درجة كبيرة. تصور التعقيدات الاضافية فيما لو قررت ليزا انني لا اعجبها ابداً!».

«ماذا تقصدين بالتعقيدات الاضافية، يا تينا؟».

كانت نبوته حادة، وعندما نظرت اليه وجدته عابساً مقطب الحاجبين. خافت واحست بانفعال مزعج. لماذا تفوهت بمثل هذه الكلمات المؤذية في الوقت الذي بدأ فيه جون بالتقرب اليها؟ ترددت قليلاً ثم قالت له:

«لم اعن اي شيء محدد يا جون. فالاحاديث احياناً تتضمن كلمات نافية لا قيمة لها».

«لا، لم تكن كلمات لا معنى لها».

ثم اقترب منها واضاف قائلاً:

«اذا كانت كل امرأة جميلة ومثيرة تلتقيها هنا ستصبح سبيلاً للشكوك ومشاراً للشبهات، فاننا سنمر في اوقات عصيبة. اسمعي يا تينا! اريد ان نكون واضحين منذ البداية... انا ابني السلام والطمانينة وراحة البال من زواجي الثاني، لا الغيرة والحسد والمشاكل. ادرسي الموضوع جيداً! تصبحين على خير».

هزت برأسها وقد عم افكارها ذهول وضجت برأسها تساؤلات

وتخبطت بقلبها مشاعر متناقضة ومتضاربة. ليس كافياً ان يحب
الانسان شخصاً آخر... بل يجب ان يثق به. ولكن... كيف
يمكنها ان تثق به وهي ترى ما تراه من احتمال قيام علاقة بين زوجها
وتلك... القطة الشرسة، بولا كارش!

٥- سيدة القصر

استيقظت تينا بعد ان انتهت الى ان باب غرفتها يقرع بهدوء.
«نعم!».

دخلت امرأة سمراء نحيفة ترتدي زياً انيقاً وتحمل طبقاً عليه
ابريق من الشاي وفنجان وكمية من السكر. ابتسمت كاشفة عن
اسنانها البيضاء اللامعة وقالت:

«اسعدت صباحاً يا سيدتي. انا توباز، وقد طلب مني السيد جون
ان احضر لك الشاي الى الغرفة على ان تتفضلي بالانضمام اليه
لتناول الفطور معاً. انه يسبح الآن».

جلست تينا في سريرها وسألت توباز التي تضع الطبق امامها:
«انت زوجة جو، اليس كذلك؟».

ردت توباز الابتسامة بالمثل وقالت بمرح يغلب عليه الحياء:
«نعم يا سيدتي. انه يتصرف احياناً كطفل كبير ولكنه ما عدا ذلك
انسان لا بأس به... حسبنا اعتقد».

ضحكت تينا وشربت جرعة من الشاي ثم قالت:
«باعتقادي انه شخص طيب وقادر للغاية. هل تعملان هنا منذ
زمن طويل؟».

وضعت توباز يديها باعتزاز على زينا الابيض والازرق، الذي يدل
على انها الخادمة الخاصة بسيدة البيت، وقالت:

«حصلت على هذه الوظيفة الجديدة قبل يوم فقط من وصولك يا
سيدتي. اني اعمل كخادمة هنا منذ فترة طويلة، وجو يقوم بمعظم
الاعمال منذ تولي السيد جون الامور هنا. وهو متعلق جداً بهذا
المكان وبمالكه...».

وتوقفت توباز عن متابعة حديثها وكأنها انتبهت فجأة الى انه يجب
عليها، كخادمة خاصة بربة البيت، ان تكون اكثر جدية واقل
ثرثرة. وتأملتها تينا بسرور وهي تقوم بعملها باهتمام واخلاص. انها
فعلاً احدى خصال جون ان يفكر بكل شيء! اختار امرأة طيبة
ومخلصة وغير عنكة كي تكون خادمتها الخاصة لان اي خادمة
متمرسة قد تشكل ازعاجاً واحراجاً لها. فهي غير معتادة على العيش
في بيت كبير كهذا يعج بالخدم والعمال، وعلى التصرف كسيدات
القصور من حيث ادارة شؤون البيت واعطاء الاوامر والتعليمات
التقليدية. الا ان تعيين خادمة خاصة بها اخجلها واربكها بعض
الشيء، على الرغم من ارتياحها البالغ وسرورها الفائق بهذا التطور
الجديد.

«لا تزال معظم حاجياتي موجودة في الزورق منذ ليلة امس، وعليه
فاني مضطرة لارتداء ثياب السفر مرة اخرى».

وضعت توباز الثياب على سرير تينا ثم جهزت لها الحمام وغادرت
الغرفة بعد ان شكرتها تينا وقالت لها ان بإمكانها الذهاب. دخلت تينا

الحمام الجميل الذي ستتشاطره وجون. وفيما كانت تنفث تحت الماء
المنهمر بقوة، راحت تردد بصعوبة ما سمعته من توباز. انها فتاة
عاشقة، وهذا يكفيها في الوقت الحاضر! انها تينا تريكارل، وكل ما
تراه وتسمعه حقيقة واقعة وليس حلمًا! وما ان خرجت من الحوض
حتى سمعت طرقة خفيفة على باب الحمام وصوت جون الذي يوحى
بالنشاط والحيوية:

«مرحباً ايها العزيزة! احضرنا لك حقائبك من الزورق».
«اوه، عظيم!».

نظرت تينا الى المرأة الكبيرة الموجودة فوق الطاولة فشاهدت
جسدها العاري المبتل. احمرت وجنتاها حياء... كيف ستتصرف
وكيف سيكون رد فعله هو فيما لو دخل الحمام من الجهة الأخرى وفي
هذه اللحظة بالذات... وهو حق مكتسب له! سارعت الى القول:

«ابداً بتناول فطورك يا جون، ان كنت جائعاً. سأجفف نفسي
وانضم اليك خلال لحظات».

ضحك وقال لها:

«كلمة لحظات بالنسبة للسيدات تعني نصف ساعة على الأقل.
فطورنا موجود على شرفة القاعة الصغيرة، وسوف انتظرك. هل نمت
جيداً؟».

اعجبها انه مرح وذو مزاج طيب غير معكر، فاجابته بارتياح:
«الى درجة كبيرة، شكراً».

«سأرى ان كانت الصبية الصغيرة مستيقظة، فلربما اسعدها تناول
الفطور معنا. فيا رأيك؟».

«طبعاً، طبعاً. كنت على وشك اقتراح ذلك بنفسى».

تساءل ضاحكاً وبشيء من التهكم:

«حقاً؟».

ثم خيم صمت ثقيل وعرفت تينا بانه غادر غرفتها وتوجه الى شرفة
القاعة. ارتدت ثيابها ودخلت الغرفة حيث كانت توباز تفرغ

الحقائب وتضع كل شيء في المكان المخصص له . ساعدتها توباز على تسريح شعرها الاشقر الذهبي بعد ان كانت تينا قد استبدلت ثياب السفر بفستان ازرق جميل .

«هل لديك اطفال يا توباز؟»

«اثنان يا سيدتي، وهما في المدرسة» .

ثم ابتسمت و اضافت :

«انك لا تبدين اكبر منها كثيراً يا سيدة تريكارل . امضينا كلنا الايام القليلة الماضية نحاول التكهن بما سيكون عليه سنك ومظهرك ! انتظري حتى اخبر اسباسيا» .

«من هي اسباسيا؟»

«انها صديقة لي تقيم في القرية . عملت هنا عندما كانت السيدة جوانا حية ترزق . كانت خادمتها الخاصة» .

تسمرت تينا في مكانها ثم تنهدت قليلاً وسالت خادمتها بهدوء :
«هل كانت هذه الغرفة تختلف كثيراً عما هي عليه الآن عندما كانت السيدة تريكارل الاولى تقيم فيها؟»

وجّهت اليها توباز نظرة دهشة واستغربت قائلة :

«هذه الغرفة، يا سيدتي؟ انها لم تكن ابداً غرفة السيدة جوانا . السيدة الراحلة كانت تقيم في الجانب الآخر للبيت كي تكون قريبة من الشاطئ وتسمع صوت أمواجه . كانت تحب البحر . . . ربما اكثر مما يجب !»

ارتعش جسم تينا لدى سماعها تلك الكلمات ، وخاصة بسبب ذلك الايجاء المبطن بوجود علاقة بين حب جوانا للبحر وحادث غرقها . وانطلق من فمها سؤال لم تكن ترغب في توجيهه :

«هل يمكنك وصفها لي؟ اعني . . . هل كانت وديعة وطيبة؟»

«اتصور ان العمل معها لم يكن صعباً . كان لها شعر حريري احمر» .

وهزت رأسها اسفاً وتأثراً ثم اضافت :

«اذكر تماماً كيف كانت الطواويس تبكي في تلك الليلة التي سبقت مقتلها . اني اقول دائماً لجوانا بكاء الطواويس ينذر بالشر ، ولذلك كان يرافق السيد جون ذلك اليوم كظله . . . وهو الذي قتل سمكة القرش التي هاجمت السيد جون . اوه . كنا خائفين جداً على السيد ، اذ كاد جرحه وصدمة يقضيان عليه . . .»

واختنقت الكلمات في حلق توباز فيما كانت تينا تتصور المنظر المفجع بحذافيره وكأنه يجري امامها . تصورته يكافح لانقاذ جوانا ومن ثم يحاول التخلص من تلك السمكة الشرسة القاتلة ! ماذا كان يشعر آنذاك وهو ينادي جوانا بحرقه وألم؟ هل كان يشعر بالحب واليأس . . . ام بعقدة الذنب؟ ووجدت نفسها تخرج من الغرفة وتتوجه الى شرفة القاعة ، حيث كان جون وابنته انتهيا من تناول فطورهما وكان يخبرها عن رحلته وانطباعاته اثناء وجوده في الخارج . وقفت صامتة تتأملهما باعجاب . كانت ليزا تنظر الى والدها بمحبة واعتزاز وكان جون يحدثها كمن يحدث صبية كبيرة لا طفلة في الثامنة من عمرها . وفجأة رفع جون رأسه وشاهد تينا وفستانها الصيفي الجميل . وقف عجباً وامسك بكرسي كي يساعدتها على الجلوس ، ثم قال لها باسماً :

«انك تبدين رائعة . اليس كذلك، يا ليزا؟»

احسنت بأنه وجه هذه الملاحظة اللطيفة لأنه انسان مهذب وليس لأنه حقاً يعتبرها امرأة رائعة . شاب سرورها شيء من توتر الاعصاب ، فأزاحت وجهها عنه وحولت نظراتها الى الطفلة قائلة بيشاشة :

«صباح الخير، يا ليزا» .

«صباح الخير يا . . . تينا» .

واحمر ذلك الوجه الصغير الجميل قبل ان تضيف قائلة :

«هل من الخطأ ان ادعوك هكذا . . . باسمك فقط؟ لدي صديقة في المدرسة تزوج والدها مرة ثانية في الأونة الاخيرة، وهي مضطرة

لننادة زوجة ابيها... يا خالتي!..
جلست تينا وهي تتمتم بكلمات شكر لجون، ثم ابتسمت وقالت
للفتاة الصغيرة:

«اني لا اشعر ابداً كأنني خالك يا ليزا. ربما كشيقة كبرى... فما
رايك؟ اعتقد انني سأكل قطعة من هذا اللحم المجفف وما تبقى من
الأناناس».

ابتسمت ليزا وبدأ الارتياح بوضوح على وجهها الناعم، ثم
وضعت ذراعها بمحاذاة ذراع تينا وقالت مداعبة:
«كم تبدن بيضاء بالنسبة لي ولأبي».

ضحكت تينا وقالت لها:
«اني انوي ان اصبح برونزية اللون مثلكما تماماً خلال اسبوع
واحد باذن الله».

ثم اضافت:
«انه لسوار جميل حقاً يا ليزا. هل شاهدت جميع هداياك؟»
«القيت خلسة نظرة سريعة الى السرج. انه رائع الجمال، ومهري
سوريل سوف يعتز به كثيراً عندما اضعه على ظهره».

ثم ابتسمت وقالت لوالدها:
«بيدوا انك احضرت هدايا جميلة ومتنوعة يا ابي. ولا اري بدأ من
القول اني معجبة بالهدية التي احضرتها لنفسك».

«آه منكم يا صغار هذا العصر».

قالها ضاحكاً ثم التفت نحو تينا و اضاف:
«هاك يا عزيزتي، لقد حصلت الآن على الموافقة التي كانت
تقلقك كثيراً».

وحول نظره الى عيني ابنته الحائرتين وقال لها:

«نعم، يا ليزا، كانت تينا بالطبع قلقة من انها لن تنال اعجابك».

وضعت ليزا احد اصابعها على خاتم تينا وقالت بارتياح ظاهر:
«غريب! كنت اظن انها قد تكون متكبرة ولا تأبه لطفلة امرأة

اخرى. انه لا امر يدعو الى ارتياح كبير، يا تينا، انك رائعة الى هذه
الدرجة».

ابتسمت تينا بمحبة وحنان يشوبها بعض الاستغراب وسألتها:
«هل تعتبريني حقاً رائعة؟».

ردت عليها ليزا بلهفة واخلاص قائلة:

«بالأكيد! فانت لست مراوغة او مدعية بل صادقة وطيبة. كان
سبقضي علي لو ان ابي تزوج امرأة لديها مثل تلك الصفات
السيئة!».

كانت لهجة الفتاة حادة وتحمل الكثير من المعاني. ونظرت تينا الى
جون لتعرف ما اذا كان ادرك الهدف من وراء تلك الجملة الصريحة
والعنيفة. كان جون يحدق بابتته ويوجه اليها نظرات قوية وجادة
افزعت تينا وادخلت الهلع في قلبها. نعم، انه يعرف ان ليزا لا تحب
بولا كاريش. وربما كان هذا احد الاسباب التي حملته على مقاومة
رغبات تشده الى تلك الناحية... وعلى منح ابنته أمّاً ثانية تكون
صغيرة السن وغير معقدة! اخرج غليونيه وسأل زوجته بهدوء وكأنه
يحاول تغيير الموضوع:

«هل تسمحين بان اشعل غليونني فيما انت تأكلين؟».

هزت تينا رأسها موافقة ثم نظرت الى ليزا وسألتها عن فترة
عطلتها المدرسية. ردت الفتاة بوجه مشرق:

«اسبوعان كاملان، ما اروع هذه المناسبة! سئمضي ثلاثتنا اوقاتاً
سعيدة مليئة بالبهجة والمرح والسرور».

التفت جون نحو تينا وسألها:

«ماذا تفضلين ان تفعلي هذا الصباح؟».

«اود التعرف على البيت وجواره».

«فكرة طيبة. يمكن ليزا ان تكون دليلك في الجولة المقترحة. لدي
بعض الأعمال التي يجب الانتهاء منها، ولكننا سنقوم بجولة حول
الجزيرة في فترة ما بعد الظهر...».

قاطعه ليزا بتهذيب، ولكن بحماسة ظاهرة:

«تينا وانا سنذهب للسباحة».

«تأكدنا من البقاء قريباً من الشاطئ». ابلغني جو هذا الصباح انه شاهد في الآونة الاخيرة عدداً من أسماك القرش خارج السلسلة الصخرية. كذلك فان تينا ستكون بحاجة للزيوت التي تحمي الجلد من اشعة الشمس الحارقة. ضعي الزيت يا تينا بكمية كبيرة تحت عينيك وعلى أنفك بشكل خاص».

احسست تينا بانفعال شديد وبخاصة عندما وضع اصبعه على انفها الصغير وشاهدت تلك النظرات الساخرة في عينيه. استجمعت قواها وقالت له محتجة:

«لا تعاملني كطفلة، يا جون!».

«اني اخشى على جلدك الناعم والرقيق يا عزيزتي. وداعاً ايها الطفلتان الحبيبتان!».

وغادر الشرفة على عجل فيما كانت تينا تحاول ضبط اعصابها وغضبها، وليزا تقول ضاحكة:

«ليس ابي مضحكاً؟».

«الى درجة مذهلة!».

عادت الجدية فجأة الى وجه ليزا وسالت تينا:

«هل تعرفين ما هي الحرباء؟».

ابتسمت تينا واجابتها دون ان تدري السبب الحقيقي للسؤال: «انها احدى الزواحف التي تغير لونها تمويهاً. هل تدرسون عنها في صفكم؟».

«لا، ولكني قرأت عنها في احد الكتب. بولا مثلها، اليس كذلك؟».

دهشت تينا لهذا التشبيه وخشيت من ان تكون بولا قالت شيئاً للطفلة عن والدها. وسألته بسرعة:

«لماذا تقولين ذلك يا ليزا؟».

هزت الفتاة كتفيها وقالت ببراءة الطفولة:

«انها لا تحب ان ترى الناس سعداء او مسرورين... انها تعمل دائماً على الحاق الاذى بهم. هكذا تفعل مع الخال رالف، لأنه انسان طيب للغاية. اني اتمنى من كل قلبي ان يتزوج، اذ انها ستضطر لمغادرة بيته».

ثم امسكت بذراع تينا ووضعت خدها عليه ثم قالت بمحبة صادقة:

«اوه، تينا! كم كنت خائفة ان يتزوجها ابي!».

وضحكت بتشف وقد علت وجهها ابتسامة المنتصر ووافقت: «اني متأكدة من انها تتحرق غضباً وغيظاً... وحسداً، لأنه لم يفعل ذلك».

تناول الثلاثة طعام الغداء واحضر جون السيارة الكبيرة المريحة ليقوموا بجولتهم المرتقبة حول الجزيرة. نظرت اليه ليزا التي كانت وتينا تجلسان قربيه في المقعد الأمامي، وسألته بسرور:

«هل نبدو جميلتين يا ابي؟».

«كوردتين رائعتين! انني رجل محظوظ!».

وانطلقت السيارة نحو الحقول الخصبة حيث قصب السكر والموز والذرة. وشاهدوا احد الشبان المحليين يتقي حرارة الشمس الحارقة في ظل احدى الاشجار الاستوائية الضخمة. ابتسم جون وقال لتينا:

«هل لاحظت كيف نظر هذا الشاب الينا؟ انه لا يفهم كيف انني لم استسلم للعادة المتبعة في هذه الجزيرة والتي تقضي بالاستراحة اثناء الظهر. هل تشعرين بالحر يا تينا؟».

«اني احبه! كنت دائماً متعطشة للشمس ودفئها».

ولما وصلوا الى منطقة قريبة من الشاطئ، اوقف جون السيارة وقال لتينا:

«بذكرني هذا الشاطئ بـ كورنويل. حتى تاريخهما الحافل بقصص

القراصنة وتحطم السفن متشابه الى درجة كبيرة.
نزلت ليزا من السيارة لتجمع باقة من الازهار البرية فيما جلس
جون وتينا على حافة الطريق يتأملان الطبيعة الخلابة والشاطئ
الساحر. ثم وضع جون يده فجأة على ذراع زوجته وقال لها بنعومة:
«انظري الى ليزا».

تطلعت تينا نحو الفتاة الصغيرة التي كانت تقفز بفرح وسرور
وتداعب خديها بباقة الزهر الجميلة.
وتتم جون قائلاً:

«كم اتخنى ان انحت تمثالاً لها وهي على هذا النحو ولكن مشهد
يتغير ويتبدل بسرعة فائقة. انظري، انها تنتقل الآن الى اكتشافات
اخرى».

سألته تينا بوداعة وهدوء:

«اليس بإمكانك ان تعتمد على الذاكرة؟».

هز كتفيه وضم ركبتيه بذراعيه وقال:

«الذاكرة معرضة... لاخطاء كبيرة! تحفظين شيئاً وتغيب عنك
اشياء بسبب الغموض المحتم، وتأتي القطعة الفنية ناقصة ومبتورة
بدل ان تكون كاملة. كي ينجح الفن حقيقة، يجب أولاً ان يرضي
القلب والعقل والروح. انه نوع من الحب، والفنان المبدع...
كالعاشق الوهان... يجب ألا تساوره الشكوك... والا فلن يكون
ثمة اشباع او ارتياح حقيقي لدى الفنان او الحبيب».

احست تينا بان قلبها يكاد يقفز من مكانه عندما تبين لها المعنى
المقصود في كلامه. وتأكدت بانه يقول لها ضمناً بان علاقتها لا يمكن
ان تصبح وثيقة اذا بقيت الشكوك قائمة بينها! هذا هو قراره
النهائي، على ما يبدو، وهي مضطرة للقبول به بسبب حيائها والمها
وضعف خبرتها. الا ان لديها عزة نفسها وكبرياءها... وقررت ان
تحاول التصرف كزوجة فلعل ذلك يساعدها حياتياً ونفسياً، فسألته:
«هل لديك مانع من ان اشترى حاجياتنا بنفسى؟ اعتقد انك

وليزا سوف تتمتعان ببعض الوجبات التي تذكركما بالوطن، وسيكون
من دواعي سروري ان اعدّها لكما. كذلك فان توباز سوف
تساعدني».

«طبعاً، طبعاً».

ونظر بهدوء الى وجهها المتوتر بعض الشيء ثم اضاف قائلاً:
«ليس عليك يا تينا ان تطلبي اذني للقيام بأي تغيير او تعديل في
بيتك. انا لست طاغية متعنتاً كتلك العمة المعقدة».

«اني اعرف ذلك تماماً، ولكنني غريبة نسبياً على هذا المسرح...
كما ان لبعض الرجال طرقاً واساليب معينة لا يحبون الخروج عنها او
تعديلها».

«لن يزعمني ابداً ان اتناول بين الحين والآخر فطوراً مؤلفاً من
اللحم المقدد والبيض، ومع الشاي عوضاً عن القهوة. والطاهي
الذي يعمل لدينا ليس خبيراً بصنع الحلوى، وبخاصة تلك التي
تحتاج الى المربي».

ثم وضع يده على خدها مداعباً، واطاف مبتسماً:

«هل ارتاح بالك الآن، يا فتاتي الخجولة؟».

اومأت برأسها علامة الموافقة ولكنها لم تتمكن الا ان تقول له:
«على اي حال، فأنتم الرجال يمكن ان تكونوا احياناً مخلوقات
مزعجة».

ارتفع حاجباه بسرعة وقال لها ضاحكاً:

«ان كنت ازعجك قليلاً، فلأنني فقط اكبر سنّاً واكثر خبرة.
ولكني لا انسى ما اخبرتني به من انك لا تعرفين الكثير عن الرجال
بسبب كره عمك للجنس واشمئزازها منه».

ثم حلق بها ومضى الى القول بشيء من التهكم:

«ان لم تتمكني من فهم الايحاءات والتلميحات المختلفة التي
اوجهها لك عن ابتعادي عنك بعض الوقت، فيمكنك ان تقفلي باب
غرفتك بالمفتاح. اني اشك كثيراً في قدرتي على تحطيم ذلك الباب

الخشبي القوي».

احمرت وجنتاها بشدة وقالت له :

«لا داعي للتفوه بكلمات كهذه! نأكد بأنني فهمت تلميحاتك كاملة».

«أذن يمكننا تناسي الموضوع برمته».

قالها بلهجة جدية ونبرة حادة كالفولاذ. وشعرت تينا بارتياح عميق عندما شاهدت ليزا تقترب منها بسرعة وتضع ازهارها في حضن صديقتها الجديدة وتقول :

«اوه، ان الحر شديد للغاية!».

وجه اليها والدها امرأ فوراً قائلاً :

«أذن اهدئي واجلسي في الظل!».

تبرمت ليزا قليلاً ونقلت نظراتها بين ابوها وتينا بقلق ثم قالت :

«لا تقولوا لي انكما بدتما بالشجار منذ الآن!».

تجنبت تينا نظرات جون وقالت لليزا فيما كانت تنظاها بتأمل الأزهار البرية الجميلة :

«بالطبع لا، يا حبيبي!».

ثم ابتسمت وضافت :

«هل تريدان ان اعد لك اكليلاً من هذه الأزهار الزرقاء الرائعة؟».

وفيما استلقى جون على الحشائش الخضراء واضعاً يديه تحت رأسه، كانت ليزا جالسة القرفصاء تراقب تينا وهي تعد لها الاكليل الذي سيزين رأسها. وما ان انتهت تينا من عملها حتى توجه الثلاثة الى مطعم على شاطئ البحر حيث شرب كل منهم زجاجتين من العصير المثلج المنعش. حاولت تينا جاهدة ان تشعر بالارتياح الا ان اعصابها ظلت متوترة. تأملت باعجاب كبير سلسلة جبال جهايك، التي كانت تبدو قرمزية اللون اثناء المغيب. وفي طريق العودة، وضعت ليزا رأسها على كتف تينا واغمضت عينيها. وأحست تينا

بدفق من الحنان والمحبة تجاه تلك الطفلة الحبيبة فطوقتها بذراعها... فيما كان جون يقود سيارته غير مبال بما يجري حوله، وبما يمكن لهذه الزوجة الشابة ان تقدمه من حب وعاطفة. ولأنها صغيرة السن وحساسة وتحشى التدخل في شؤونه، فقد تركته غارقاً في تفكير عميق واغمضت عينيها...

اكتشفت تينا في اليوم التالي ان ذهابها الى السوق برفقة توباز تطور رائع ومثير للغاية. اوصلها سائق جون حتى رصيف الميناء، حيث طلبت منه تينا انتظارها هناك لحين عودتها. كانت توباز تسير قرب تينا وعلى رأسها سلة كبيرة مخصصة لحمل الحاجيات القليلة التي تنوي السيدة ابتاعها.

وتساءلت تينا بصمت عما اذا كان من الحكمة القيام بهذه الجولة في السوق الشعبي الذي يعج بابناء الجزيرة من صيادي اسماك وعمال ومزارعين. وبعد تحليل دقيق للدلائل الكثيرة التي تشير الى انها قد تصبح كضيفة في ذلك القصر الكبير ما لم تتصرف بقوة وبسرعة، وجدت ان خروجها الى السوق كان ضرورياً الى حد كبير. وتذكرت كيف شعر الطاهي وكبير الخدم بالامتناع عندما استجوبتها ذلك الصباح عن بعض الامور المتعلقة بالمطبخ وبالطعام، وكيف انها لم تتراجع بل اصرت على موقفها... وانتصرت. انها ربة البيت، وعلى جميع العاملين فيه اطاعة تعليماتها واوامرها... مع انها على اتم الاستعداد للاستماع الى ارائهم والاخذ بالخير منها. وتذكرت كيف سألها الطاهي بشيء من العصبية وهو على اهبة رمي القلنسوة البيضاء وصدار الطهي :

«هل تذمر السيد جون من المأكولات التي اعدتها له؟».

حاولت تينا طمأنته وتهذئه اعصابه قائلة :

«انك طاه جيد، يا جايسون. ولكنني اريد اطلعك على كيفية

اعداد بعض الوجبات التي نجحنا في بلادنا».

وتذكرت كيف انها شرحت له عن الامكانيات المتعددة لتقديم

بعض انواع الطعام وعدم الاصرار على تقديمها دائماً بالطريقة نفسها.

نظر إليها جايسون بغضب وقال لها بحدة:

«الخضار المسلوقة لا بأس بها على الإطلاق».

«بالتأكيد، ولكن يجب ألا تقدم على هذا الشكل أكثر من مرتين في الأسبوع. اسمع يا جايسون! أنا لا أحاول محاربتك، ولكنني متأكدة من أنك تولي مصلحة السيد جون وراحته اهتماماً قليلاً بقدر اهتمامي أنا. وعليه، فإن تنويع وجبات طعامه ليس بالأمر السيء».

ولأن الرجال في جزر الهند الغربية يعجبون كثيراً بالنساء اللواتي يسهرن على راحة أزواجهن ويعملن على إسعادهم، فقد علت وجه جايسون فجأة ضحكة عريضة وسمح لها بفتح الثلاجة وخزانة المأكولات وتفحص محتوياتها. وانتهت تينا فجأة إلى أنها وتوباز وصلتا إلى الساحة التي تقع فيها المحال والمخازن التي تنبعث منها روائح الأسماك واللحوم الطازجة بالإضافة إلى الفاكهة والخضار... وكل ما تشتهي المعدة.

في تشوري، كانت عمته مود تهتم بهذه الأمور. أما اليوم فقد سنحت لها فرصة ذهبية لتقوم بتجربتها الأولى كربة بيت... مدلة. محفظتها محشوة بالأوراق النقدية من الفئات الكبيرة، خادماتها الخاصة تحمل لها أغراضها وتعمل أيضاً كدليل سياحي، والسائق ينتظرها في تلك السيارة الفخمة المريحة. هل كانت جوانا تفعل الشيء ذاته؟ تشتري حاجيات البيت بنفسها؟ لا، يبدو أنها لم تكن من هذا النوع من النساء! واحست بالغريزة أنها تختلف تماماً عن تلك السيدة الراحلة التي كانت تحب البحر هادئاً أو هائجاً، تركب الخيل وكأنها ولدت على ظهر حصان، تقود السيارات والزوارق السريعة بمهارة مماثلة، وتظهر براعة وذوقاً رفيعاً لا مثيل لها كمضيفة تقيم أجمل السهرات والحفلات. كانت زوجة مفعمة بالحياة والنشاط، ومضيفة كريمة، وصديقة تحظى بشعبية كبيرة... ومع ذلك فقد حدث خطأ ما بين جون وجوانا! وشعرت بالتأكيد أن بولا كانت

سبب الخلاف. وحسبها فهمت من رالف كاريش، فإن من الواضح أن الارتياح كان يؤلم جوانا إلى درجة كبيرة ويشير أعصابها وانفعالها إلى حد نحيف. وكان جون يختلي بها مرات عديدة كي ينحت على مثاليها تماثيل رائعة من الرخام. ألم يكن من السهل جداً على امرأة مثيرة ومغرية مثل بولا أن تسمم عقل ابنة عمها ببعض التصرفات المتعمدة؟

«عزيزتي... انني مسرورة جداً بلقائك هنا!».

لم يكن مجال للخطأ... فذلك الصوت الناعم وتلك اللهجة المصطنعة ليسا إلا لها!

بولا! التفتت نحوها وارغمت نفسها على التحدث بنعومة قائلة: «مرحباً بك، يا آنسة كاريش. كما ترين، اني اتسوق بعض الحاجيات للبيت».

ابتسمت بولا بدلع وتظاهرت بالاستغراب... والاعجاب: «يا للسما! كم أنت حية الضمير... ترهقين نفسك بالأعمال المنزلية وانت في شهر العسل! أنا اتسوق دائماً بواسطة الهاتف. أما انتني ايتها العرائس الجدييدات الصغيرات فيبدو انكن متحمسات دائماً لإسعاد أزواجهن وإرضائهم مهما كان الأمراء».

وشدت على ذراع تينا ثم تابعت قائلة بخبث بمائل:

«لو كنت مكانك يا عزيزتي، لما اضعت قوتي وطاقتي في أمور صغيرة كهذه، وكى يحتفظ الإنسان بنضارة شبابه في المناطق شبه الاستوائية، يجب عليه أن يحتفظ بهدوء وبرودة أعصابه. ويبدو لي الآن أنك بحاجة ماسة لشراب بارد ينعشك ويخفف عنك شدة الحر. اني ذاهبة إلى نادي سبيندريفت، فما رأيك بالانضمام إلي؟ يجب أن نتعرف على بعضنا بطريقة اوثق وأفضل...».

وضحكت بلؤم واضح وهي تضيف قائلة:

«ثم... اني صديقة مقربة جداً لزوجك!».

لم يفهم تينا معنى هذه الكلمات وقررت أن تقبل التحدي. نظرت

بإيجابياته وسلبياته... بافراحه واتراحه...

الى العينين الخضراوين الساحرتين وقالت لبولا باسمه:
«اني اقبل دعوتك بسرور، يا آنسة كاريش».

«ناديني بولا، يا عزيزي. يجب الا يكون بيننا اي شكليات على الاطلاق. اني متأكدة من أننا سنجد صفات عديدة مشتركة بيننا». ارتجف جسم تينا، فسارعت لاختفاء ذلك بالنظر الى خادماتها التي تأخرت عنها بضع خطوات أدباً واحتراماً. ادهشتها نظرات توباز العدائية نحو بولا، ولكنها تجاهلت ذلك وقالت لها بعد ان طلبت منها العودة بالسيارة:

«اخبري زوجي يا توباز بانني مع الآنسة كاريش في النادي. قولي له انني سأعود الى البيت بسيارة اجرة». «نعم يا سيدتي».

وهرولت توباز نحو السيارة وهي تهز ذراعيها وتصفو لحناً راقصاً فيما بدا انها لا تحس بوجود تلك السلة الثقيلة على رأسها. «مخلوقات بدائية، اليسوا كذلك؟».

غضبت تينا لسماعها تلك الملاحظة الحقيرة ورادت ان تقول لبولا انها هي البدائية...

انها مشبعة بالكراهية والحقدا الكراهية التي يخلفها حب فاشل... والتي تأكل قلبها كمرض خبيث! الكراهية التي جعلت منها امرأة خطيرة متسلحة ببعض المعلومات السرية الموجهة الى قلب تينا الذي لا يتحمل الكثير من النكسات والصدمات!

وتأملت تينا هذه النمرة الشرسة التي سبقتها بخطوات بطيئة ومتكاسلة كاحدى عارضات الأزياء اللواتي شاهدتهن مع جاي لاينغ عندما كانتا تبتاعان جهاز عرسها وبعض الملابس الخاصة بالسهرات والحفلات. واحست بأن فترة اقامتها القصيرة في لندن وسنوات الفراغ الطويلة التي امضتها مع عمته المعقدة مود في تشورلي... اصبحت جزءاً من التاريخ، حياة اخرى، علماً آخر! كل ما حدث معها في الماضي حلم وخيال... اما الواقع فهو الآن،

٦- احلامها المنهارة!

اخذ الأعضاء الآخرون في نادي سيندريفت يحبون زميلتهم بولا كاريش ويتأملون تينا ملياً بفضول واضح. وقدّمتهما بولا الى مزارع وزوجته، لأنها على ما يبدو جاران لم ترد تجاهلهما كلية. وعندما دعاها الزوجان الى مشاركتها في شرب القهوة، تقدمت بولا ببعض الأعذار اللطيفة مما كان يدل صراحة على انها تنوي الاختلاء بتينا. جلسنا الى طاولة تطل على الشاطئ وطلبت بولا من النادل احضار زجاجتين من العصير البارد. وفيما كانتا تنظران الى البحر، شاهدتا رجلاً عملاقاً عريض المنكبين اشقر الشعر يقف بتحدٍ على لوحة خشبية طويلة تحملها الأمواج العالية المنكسرة على الشاطئ بعنف وقوة. اشعلت بولا سيكارة وقالت لضيفتها المائدة:

«رجل مشير للغاية، اليس كذلك؟ هذا النوع من الرجال لا يهمه في الحياة عادة سوى المرح والنساء، ولكن داسيه دو بندريمون يشذ عن هذه القاعدة. اعتقد انه من أسرة عريقة جداً، ويقال ان ممتلكات عائلته في مارتينيك تدل على ثراء فاحش». شربت تينا جرعة من العصير البارد المنعش وسألت مضيفتها بهدوء:

«اليس من غير المألوف الى حد ما ان يكون للفرنسي شعر اشقر الى هذه الدرجة؟». ابتسمت بولا وأجابتها:

«انه رجل فريد في مجالات وجوانب عدة. فعلى الرغم من هذه الجاذبية الجسدية، فهو من اولئك الرجال الذين يمكنهم التخلي عن عشيقاتهم بالسرعة ذاتها التي يأسرون بها قلوبهن. وتجد الغالبية العظمى من النساء في رجل كهذا تحدياً أليفاً. وتشعر كل منهن ان على هذا الرجل ان يستقر وان يتزوج... منها هي بالذات!». ثم غمزتها بشيء من الخبث وأضافت:

«وبمناسبة الحديث عن الزواج، هل استقرت بك الأمور كزوجة؟».

قالت تينا لنفسها ان الوقت حان لبولا على ما يبدو لتبدأ بالتحرش لمعرفة تفاصيل زواج جون الثاني. وشبهتها بالنحل الذي يحوم حول الأزهار خارج النادي. ابتسمت تينا وقالت بابتهاج:

«بطريقة سهلة وجيدة الى درجة كبيرة. ليزا وأنا أقمنا صداقة حميمة منذ البداية».

علقت بولا بخبث واضح:

«ومع جون، طبعاً؟».

كان السؤال فضولاً ذا حدين. وقررت تينا ان تجيب عليه بهدوء وروية، متظاهرة بعدم التأثر والانفعال:

«طبعاً اننا صديقان. الا تعتقدين بأن على المرأة وزوجها ان يكونا

«مع الأزواج الآخرين فقط، يا عزيزتي». ونحلت بولا من التراخي والكسل الى التأهب والانتباه دون ان يظهر اي تغيير على وجهها او في حركاتها. ولكن التبدل كان واضحاً في نظراتها وطريقة اشغالها السيكرة الثانية. وقالت:

«اقامة صداقة في اوضاع هادئة وعادية أمر لا بأس به على الاطلاق، ولكنها تكاد تكون مستحيلة في علاقة عاطفية وغرامية. واذا كانت الفتاة تريد علاقة كهذه مع الرجل، فما عليها الا البقاء مع امها».

ادركت تينا ان حظها في خوض هذه المعركة غير المتكافئة يكمن في الرد على تلك الملاحظات القاسية بصدق وصراحة، فقالت:

«امي متوفية. ربتني عمتي منذ سنتي الأولى. ولؤكد لك اني افضل ان اكون مع جون، لا مع غيره».

«كنت تعملين دائماً لكسب عيشك، اليس كذلك؟ هل كنت تشتغلين في احد المحال التجارية... ام في وظيفة اخرى مماثلة؟».

احمرت وجنتا تينا انفعالا وغضباً بسبب الطريقة والاسلوب اللذين كانت تستخدمهما بولا. وثمنت لو ان بإمكانها اجابته بالقسوة التي تستحقها... ان تقول لها انها تحتقر الفتاة التي تعيش عائلة على شقيقتها، حتى ولو كان ذا دخل مرتفع وفي بحبوحة مادية. ولكنها ضبطت اعصابها وقالت:

«كنت اعمل في احد المكاتب، يا آنسة كاريش... في مجالي الطباعة والاختزال».

«ضاربة على الآلة الكاتبة؟».

وتأملت العينان الخضراوان العروس الشابة بدقة وتفحص وكان صاحبتهما لا تجد فيها ما يشير اهتمام أي رجل او رغبته. ابتسمت بخبث واضح وهي تقول:

«يبدو انك اصطدت سمكة كبيرة بطعم صغير، اليس كذلك يا

سمعت تينا هذا السؤال وأحست بضيق بالغ وعدم قدرة على مجابهة هذه الكلمات الجارحة بمثلهما، وبخاصة عندما تكون وجهها لوجه امام الشخص الذي يتفوه بها. لو كانت بمفردها، لتمكنت من اعداد اجابات قاسية وملائمة. ومع ذلك، قررت المضي في الدفاع فقالت:

«أنا... أنا لم اتزوج جون كي أضمن لنفسي الرفاهية والشهرة والانفاق بدون حساب، اذا كان هذا ما تحاولين الانجاء به! لم يكن يهمني لو انه رجل فقير وفنان فاشل!».

«اوه، تينا! لا تحاولي اقناعي بانك لا تحبين طعامك دسماً وشهياً او انك ترفضين تناوله في مطعم فاخر! لم يكن جون راغباً كثيراً في القيام بتلك الرحلة الى بريطانيا... ان رجله اليسرى تؤلمه كثيراً، وأتصور انك بالطبع تعرفين ذلك!».

نظرت تينا الى الشاطئ متجاهلة كلام بولا، ولكنها تأثرت لأنها لم تعرف بأن رجله التي اصيبت قبل ثماني سنوات لا تزال تؤلمه. مسكين جون! وسمعت بولا تمضي في حديثها الجارح قائلة:

«اعتقد ان وجودك كان مصادفة! كان جون بدأ يشعر لتوه باقترابه من سن الأربعين وبالمشيب يدب سريعاً في رأسه! كان بحاجة لتأكيدات يتطلبها الرجال في مثل هذا العمر... بأنه لا يزال قادراً على الايقاع بفتيات مراهقات او في بداية العشرينات من عمرهن بحبه وغرامه. ومعظم الرجال يقيمون علاقات كهذه لبعض الوقت ثم يضعون حداً لها قبل التورط بأمور لا يحبونها او يريدونها. وهنا يجب تهنتك لأنك تمكنت من ربطه بك شرعاً وقانوناً قبل تمكنه من الافلات».

«شكراً».

قالت تينا دون تهكم وسخرية، فيما كانت افكارها آنذاك مع جون الذي لا تعرف الا القليل عما يسره او يزعجه وعما يفرحه او يحزنه.

وظهر جلياً ان بولا تعرف عنه اكثر بكثير. رفعت قبعتها البيضاء
الانيقة وهزت رأسها فتطاير الشعر متحرراً من سجنه...

«اني اقترح عليك بمحبة واخلاص ان تقصي شعرك وتصففيه وفقاً
للأساليب الحديثة المتبعة حالياً. فالشعر الطويل يبدو هزيلاً وباهتاً ان
لم يسرح بالأسلوب الصحيح».

تعبت تينا من الملاحظات المزعجة التي تنهمر عليها كالسهام
السامة، وقررت الرد بقوة:

«طلب مني جون بشكل خاص ألا أقص شعري. انه يحبه على
هذا الشكل».

ضحكت بولا باستهزاء وقالت:

«ولكنه يظهر كصورة في القصص المخصصة للصغار، مثل
اليس في ارض العجائب! ثم... هل تزوجك جون لأنه يريد اختاً
لابنته؟».

«آمل بالتأكيد ألا يكون ذلك هدفاً».

ظهرت الحدة بوضوح في كلمات تينا التي هي عادة هادئة
ومحافظة. وتمكنت من تضمين تلك الكلمات الست معنى لم يغيب عن
بال بولا وفهمها. ولاحظت تينا الصدمة التي أحدثتها تلك المدلولات
على بولا. وفجأة تخلت بولا عن هدوئها وتأملها للبحر، وطلبت من
النادل احضار فنجانين من القهوة. ارادت تينا ان ترفض... ان
تهب واقفة وتهرب، مذعورة كفارة تجرات على الخروج لحظة من
جحرها. امسكت بقبعتها المصنوعة من القش ولكن بولا استوقفتها
قائلة:

«أريد ان أريك شيئاً».

فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها صورتين ملونتين واعطتهما
للعروس الشابة. اخذت تينا الصورتين بيد مرتجفة تظهر بوضوح
مدى توتر اعصابها. انه جون... وزوجته الراحلة! وتأملت تينا
بذهن شارد وجه جوانا الرائع الجمال... عينيها الخضراوين

الكبيرتين... شعرها الفتان! وأحست تينا بالآلم يعصر قلبها، لأن
جوانا كانت فاتنة الى ابعد درجة... حلم الرجل السعيد الحظ،
جنته على الأرض!

«ابنة عمي... زوجة جون الأولى، التي ماتت غرقاً».

«اعرف. كانت جميلة. اخبرني جون مرة انها كانت جميلة. ولكن
هذه الكلمة ليست كافية، لا بل انها باردة! كانت تضج حياة
ونشاطاً، دافئة، حنونة!».

وسألته بولا بشيء من الحدة:

«هل تحدث جون كثيراً عنها؟».

كانت تينا لا تزال حائرة، شاردة الذهن. اومات برأسها نفياً، فيما
كانت تقول لنفسها ان وفاة جوانا لم تكن تعني نهاية سيئة جميلة
وحسب، بل اتساع الهوة التي تفصل بين جون وسعادته... والتي
كان يحاول جاهداً عبورها او تضييقها مع زوجته لو لم يغيب القدر
وجهها! ومن الواضح ان هذا الألم سيظل يلاحقه، ويلقي ظلالاً من
الأسى والعذاب على زواجه الثاني! لماذا اعطتها الصورتين؟ هل
كانت تود ان تريها مدى المنافسة القوية التي تواجهها؟ أم ان الهدف
هو تحذيرها من انها قادرة على اغراء رجل مثل جون بالابتعاد عن
امرأة رائعة مثل جوانا... وبالتأكيد عن امرأة بسيطة وعادية مثلها
هي؟ أعادت اليها الصورتين فيما خيم صمت ثقيل قطعه صوت رجل
يقول بتعذيب بالغ:

«هل تسمح لي السيدتان بالانضمام اليهما؟».

رفعت تينا رأسها بدهشة لتواجه عيني عسلتين ووجهاً برونزياً
باسماً لا يمكن نسيانه بسهولة.

«داسيه!».

لفظت بولا اسم الرجل باغراء واضح ومدت يدها لمصافحته.
وفيا كان يمسك بتلك اليد الناعمة ويرفعها لتقبيلها، أضافت قائلة:
«يمكنك بالتأكيد الانضمام إلينا. ماذا تشرب؟».

ترك يدها بتردد مفر وقال مبتسماً:

«طلبت من النادل أحضار فنجان من القهوة المرة».

«هل كنت متأكداً الى هذه الدرجة اننا سنقبل بانضمامك اليها؟».

«أي رجل واثق من نفسه يعرف انه دائماً مقبول لدى النساء».

ثم ابتسم وقال لها، فيما كان يشير الى تينا:

«ألن تعرفيني الى هذه الصبية اللطيفة؟».

«انها عروس جون تريكارل. تينا، اقدم لك داسييه

دويندريمون... العازب الخطر الذي كنت احدثك عنه».

«كيف حالك، يا سيد دويندريمون؟».

وجهت تينا هذا السؤال التقليدي وهي تحاول جاهدة عدم

الاستسلام لعاداتها المزعجة التي تدفع الدماء بقوة الى وجنتيها كلما

التقت غربياً أو سمعت كلام الاطراء والثناء. ولكن هذا الرجل هو

من النوع الذي يقدر على دفع نساء مثل بولا نفسها للاحمرار خجلاً،

ان هو شاء ذلك. قبل يدها كما فعل مع بولا، ثم جلس قريبا وقال لها

بعد ان تأملها ملياً:

«اذن انت هي العروس التي كان الجميع في سانت مونيك

ينتظرون وصولها بفارغ الصبر! اني سعيد جداً بمعرفتك، يا سيدة

تريكارل!».

«شكراً».

قالت تينا وهي تبتسم بحياء، ولكن دون احمرار في الوجنتين

الجميلتين. انه رجل ساحر ويمكن له بكل سهولة ان يشكل خطراً

حقيقياً على قلوب النساء، باستثناء العاشقات الحقيقيات اللواتي

سلمن قلوبهن بصدق واخلاص لغيره... وهي منهن! احضر النادل

قهوته فرفع فنجاناه وشرب جرعة ثم قال لتينا وهو يبتسم:

«يعجبني كثيراً قول اندلسي قديم مأثور عن الزواج... الزيجات

كالبطيخ، تجدين واحدة جيدة بين كل مئة. أمل من صميم قلبي في

ان يكون زواجكما مليئاً بالسعادة والخير والهناء».

قبل ان تتمكن تينا من شكره على هذا التمني الطيب، تدخلت بولا قائلة له:

«اعتقد، يا داسييه، انك تنظر الى الحب بسخرية!».

«ألا ننظر جميعاً الى الحب بسخرية ما دعنا لم نقع فيه؟ الحب يا بولا

مرض لا يجد مناعة ضده سوى القلائل منا. وأنا شخصياً لا اتوقع

تمضية بقية حياتي دون الاستسلام لهجومه».

نضايقت بولا من ملاحظاته فردت بشيء من التهكم:

«كنت اظن ان الفرنسي ينظر بروح ومنطقية الى الحب».

«ليس الى الحب يا صديقتي، بل الى الزواج. فعندما نتزوج، لا

نتوقع من الزواج ان يدوم ويظل سعيداً ما لم نعمل على مساندته

وتدعيمه. الزواج... كالسيارة، ويفضل الرجل عادة اقتناء سيارة

خاصة به عوضاً عن استخدام سيارة اجرة او سيارة صديقه.

والسيارة، كما تعرفين، بحاجة دائمة للمهر والعناية».

«داسييه! انك حقاً متوحش وقاس! كنت اتوقع منك التحدث

عن الحب والكراهية، لا ان تقارن النساء... بالسيارات! هل افهم

منك اذن انك تعتبر الزوجة ملكية خاصة... آلة تستغلها ما دامت

اجهزتها قادرة على العمل؟».

ضحك بهدوء وأجابها قائلاً:

«أمل يا بولا ان يعتبر كل رجل زوجته ملكية خاصة، اذ ان ملكيته

وحدها هي التي يعتبرها ذات اهمية وقيمة حقيقيتين».

ثم نظر الى تينا وسألها:

«وانت يا عزيزتي، هل تشعرين ان تملك الرجل لزوجته لا يشكل

زواجاً مثالياً؟ هل تفضلين ان تقودي السيارة بنفسك؟».

ردت عليه تينا بهدوء بالغ:

«أنا لست من النوع الذي يريد اكثر من ان يكون بجوار السائق.

هذا يكفيني لآكون سعيدة ولكني اعرف ان هناك عدداً كبيراً من

النساء يرغبن في مشاطرة مقعد السائق».

«التأقلم مع رغبات الرجل صفة حميدة في المرأة. اننا نبحث جاهدين عن مثل هذا النوع من الأشخاص، ولكن حفظنا لم يساعدنا بعد على إيجاد الشخص المناسب. وحتى عندما نشعر باقترابنا من تحقيق الهدف، يسارع غيرنا ويخطفه من أمام عيوننا». لم تتأكد تينا ما اذا كان يتحدث عن نفسه شخصياً، ولكنها لاحظت ان كلماته حملت معنيين بالنسبة لبولا. وأحست بأن كراهية بولا لها تقترب منها كالحية السامة... تمسها... يجب ان اعود الى البيت!.

قالت تلك الجملة ووقفت قبل ان تعطي المجال لأحد للاعتراض. وقف داسييه أدباً، فيما قالت بولا بغنج ودلال: «لدي موعد للغداء، فما رأيك يا عزيزي ان توصلها أنت!». «سيكون ذلك من دواعي سروري البالغ». أمسك بمرفقها وشدها نحوه برفق وكأنه يريد حمايتها ثم ودّع بولا مبتسماً قبل ان يتوجهها الى الخارج. وفيما كان يفتح لها باب سيارته الفخمة، نظرت اليه بامتنان وقالت: «أرجو ألا يكون لديك اي موعد او... يمكنني ان استقل سيارة اجرة...».

«انك تقلقين كثيراً بسبب الآخرين، يا سيدة تريكارل. من علمك ان تكوني متوترة الأعصاب طوال الوقت، كفارة صغيرة؟ هل هو زوجك؟» «جون؟».

أحمر وجهها قبل ان تهز رأسها نفياً وتضيف: «جون ليس قاسياً معي على الإطلاق». «عظيم».

وانطلق بسيارته مسرعاً ومتجاوزاً الحد الأقصى للسرعة بهامش كبير. استغربت تينا كيف انها تشعر معه بالارتياح اكثر مما تشعر مع جون... كأنها تعرفه منذ سنوات عديدة. خفف من سرعة سيارته

وقال مبتسماً:

«انك فتاة تحب كثيراً ارضاء الناس. تحبين ان يتسموا لك وان يكونوا طيبين معك. ولكني احذرك من ان بولا كاريش تحتفظ بدواعيتها ودمائها للرجال الذين تعرفهم». «اعرف ذلك. ولكنها دعيتني الى النادي ولم تسمح لي اخلاقي بالرفض».

«اعتقد انها قالت لك شيئاً اغاظك قبل انضمامي اليكما مباشرة. هل اكون وقحاً الى درجة كبيرة لو سألتك عما قالته لك؟». «أعتقد انك تعرف ان جون كان متزوجاً من ابنة عم بولا، وقد غيبتها القدر في حادث مؤسف. وكانت بولا تربني صورة لجوانا، واعتقد... اعتقد ان الجمال الساحر لهذه السيدة الراحلة يلاحقني كشبح من الماضي».

«وتعتقد ان هذا الشيخ لا يزال يلاحق زوجك؟ وهل بولا تشجعك على مثل هذا الاعتقاد؟». «انها ليست بحاجة لتشجيعي، فهذه هي حقيقة واقعة». نظر اليها ملياً ثم قال لها بجديّة متعمدة:

«أنت ايضاً، يا صغيرتي، ذات جمال خاص... ذلك النوع الرائع من الجمال الذي يشع من الداخل... الجمال الحقيقي. وأنت شابة لا تعرفين المراوغة والتظاهر، وهذه امور لها حلاوتها وجمالها».

ثم ابتسم وأضاف قائلاً:

«أنت حلوة وطيبة للغاية يا تينا».

«وأنت ايضاً انسان طيب».

قالتها دون خجل او حياء ولكنها احست بشيء من الأسف لأنها تسمع كلاماً لطيفاً كهذا من هذا الرجل الغريب وليس من زوجها. ومع ذلك فقد شعرت بأن مثل هذا الكلام يشجعها ويدعم ثقتها بنفسها... وبخاصة ان كان يعني ما يقول. هز داسييه رأسه عندما

ابتسمت له وقد خيمت على نظراتها بعض الشكوك. ثم قال لها مؤكداً كلامه السابق:

«اني اعجب منكن ايها الشابات البريطانيات لانكن لا تعرفن مدى سحركن. الا ان ذلك لا يمنع ان تشكل صفة الانزواء والتراجع اغراء قوياً بحد ذاتها. ولدي اعتقاد شبه راسخ بأن واحدة منكن هي التي ستسلب قلبي... جدي سيقني الى ذلك».

وعندما وصلا الى قصر الماء الأزرق، دعته تينا لتناول الغداء فرفض شاكراً لأنه على موعد سابق. وأحست بشيء من الأسف وهو يلوح لها بيده مودعاً قبل ان يركب سيارته وينطلق بها عائداً الى البلدة. ولم تنتبه لوجود زوجها في قاعة الاستقبال الا بعد ان اصبحت في منتصفها. حيثه بذهول وهي مسمرة بمكانها اقترب منها ووضع يديه على كتفيها فارتعش جسدها من آلام الحب التي هزت عظامها وسرت في عروقها. أحس بارتعاشها الذي لم تتمكن من السيطرة عليه، فشدد على الكتفين الضعيفتين بقوة ثم تركها قائلاً بشيء من الحدة:

«لا تبالي كثيراً في البقاء خارج البيت. فمع ان النسيم العليل يرطب الأجواء، الا ان شمسنا حارقة».

حاولت تينا ان تجيبه بصوت عادي، مع انها تضايقت جداً من ملاحظته وحرمانه اياها القبلة التي كانت تنتظرها بشغف وعجبة. قالت له:

«التقيت بولا كاريش... ألم تخبرك توباز؟ التقيناها فيما كنا نغادر المنطقة التجارية ودعيتني الى نادي سيندريفت. عرفتني على داسيه دويندريمون... الفرنسي الثري الذي كانت تحدثك عنه ليلة وصولنا. انه انسان طيب جداً تكرم وأوصلني الى البيت».

ابتسم جون وقال لها:

«تينا! أنا لم اطلب منك كشفاً بتحركاتك وبما تقومين به. اني مسرور لانك امضيت وقتاً ممتعاً هذا الصباح. هذا ما اريده لك...»

ان تمضي اوقاتاً ممتعة مليئة بالمرح».

اوقاتاً ممتعة! مشيت نحو مكتبه ورفعت احد الحصانين البرونزين الواقفين باعتزاز ثم سألت زوجها، الذي علمت بالتأكيد ان الحصانين الجميلين من صنعه:

«متى ستعلمني ركوب الخيل؟».

«بعد ظهر اليوم، ان لم تكو في متعبة جداً بسبب جولتك هذا

الصباح!».

«عظيم. سأذهب الآن لأخذ حماماً بارداً استعداداً للغداء».

بعد ان انتهت حمامها وارتداء ثيابها وهمت بالنزول، دفعها فضول لا يقاوم الى دخول غرفة زوجها. شاهدت على الحائط صوراً له من أيام الجامعة والبحرية وصورة كبيرة لابته على الطاولة الصغيرة المحاذية لسريه... ولكنها لم تشاهد صورة لجوانا. احمر خداه وتسارعت دقات قلبها... انه اذن لا ينام ووجهه جوانا الجميل يحلق به! هل هذا يعني انه يحاول نسيانها؟ هل اصبح يحب زوجته الثانية؟ اغلقت الباب وهي تهز رأسها بحسرة وأسى. لو انه يجيبها، لأظهر حبه بشكل او بآخر!

أمضت تينا الأيام القليلة التالية براحة وهناء، وتعلمت اشياء عديدة لم تكن تحلم بها عندما كانت تعيش مع عمته مود في تشورلي. اكتشفت اللذة والمتعة الفائقتين في ركوب الخيل وقيادة المراكب الشراعية الصغيرة وصيد الأسماك. واعطاها جون درسين او ثلاثة لتعلم قيادة السيارات، ولكن صبره كان ينفد بسرعة في هذا المجال. وشعرت بارتياح كبير عندما اقترح عليها الالتحاق بأحد المراكز المختصة، قبل ان تقضي على سيارتها الفخمة بين ليلة وضحاها: «لا يمكننا جميعاً ان نكون بارعين في جميع المجالات. أنا لم أدع ابداً بأنني أكثر من انسانة عادية».

لم يعلق بشيء على جملتها، وكان صمته كافياً! انها شابة عادية، ولن تتظاهر ابداً بعكس ذلك! غرزت اظافرها في ذراعيها بقوة

وحنق، وتمنت من صميم قلبها لو انها لم تذهب الى شاطئ تشوري في ذلك اليوم الحزين الذي قلب حياتها رأساً على عقب. ولكنها عادت في صباح اليوم التالي تشكر الظروف على ذلك اللقاء المصيري. وكان سبب هذا التحول الجذري قدومه الى غرفتها وهو لا يزال مرتدياً ثياب النوم، وجلوسه على حافة سريرها لمشاركتها طعام الصباح. ارادت ان تنقض عليه وتنطقه بذراعيها... وتحمل كافة العواقب والنتائج المترتبة على ذلك. ولكنها ليست مقامة بطبيعتها، وهي تفضل التعلق بقوة بما لديها عوضاً عن المغامرة في سبيل أشياء افضل. راقبته بدقة فلم تتمكن من اكتشاف ما يدور في خلده. كان يعاملها بلطف ووداعة ولكنها لم تكن في الحقيقة اكثر من شقيقة كبرى لابنته... كما اوحى بذلك بولا كاريس!

وقالت تينا لنفسها ان وجود ليزا لا يضرها بشيء، بل ان ذلك الوجود يخفف قليلاً من حدة التوتر التي يبدو انها تخيم على علاقتها مع زوجها عندما يمضيان امسياتهما على انفراد. وتأثرت كثيراً لأن بإمكانها تمضية تلك الساعات الطوال بسعادة وهناء، بدلاً من ذلك الانفصال الروحي والجسدي الذي تعرف ان من المستحيل وضع نهاية له. اي شهر عسل هذا الذي يمضي فيه الزوج امسياته منكمها باعداد رسوم منحوتته الجديدة، في حين تمضيها الزوجة وهي تقرأ القصص والروايات؟ وبدا لها في تلك اللحظات الحرجة ان الحب كذلك الزهرة الاستوائية الجميلة التي تنمو بسرعة وتموت بسرعة اكبر! وفي تلك الامسية بالذات، وبعد تناول الطعام وشرب القهوة، انتقلا الى قاعة الجلوس وجلسا في مكانيهما المعتادين. وفيها غرق جون مرة اخرى بين صفحات دفتر الرسم الكبير وبدا انه لا يشعر بوجودها، راحت تينا تتأمله بدقة وعناية. كان ينقل غليونه من جانب الى آخر ثم يضع يده اليسرى على جبينه بينما تضيف اليه اليمنى بعض الخطوط المطلوبة. وشعرت تينا ببعض الارتياح لأنها لا تتدخل في شؤونه وتعكر مزاجه، ولأن وجودها على ما يبدو لا يسبب له ازعاجاً

يحملة على الانفراد بنفسه في غرفة الرسم والنحت. وحاولت اقناع نفسها بأنها... على الأقل... معه! هل يكفي ذلك؟ لا! فهي في الحادية والعشرين من عمرها تسري في عروقها دماء حارة... وحب... ونشوة!

نفدت صبرها... تبرمت... تمللت! وضعت كتابها جانباً وخرجت الى الشرفة تتأمل شجر النخيل يداعبه النسيم في ضوء القمر. وفاحت رائحة التبغ وسمعت جون يتمتم قائلاً: «ليلة رائعة، أليس كذلك؟ يمكنك ان تعدي النجوم... أهذا ما كنت تفعلين يا تينا؟ ام انك تتمنين عليها اموراً معينة؟»

«يقال ان بعض الأمور قد تتحقق!»
«وما هي هذه الأمور يا ترى؟ لا، يجب ألا أسألك والا فان امثالك لن تتحقق!»

ثم اقترب منها وسألها:
«هل تؤمنين بالخرافات يا تينا؟»
«ببعضها فقط!»

اضطرت للاعتراف وبخاصة لأن نظرها وقع في تلك الآونة على الزهرة الاستوائية التي شبهتها بالحب. ثم اضافت قائلة:
«اعرف ان الرجال لا يهمهم في معظم الأحيان سوى الأمور الواقعية والملموسة. ولكن تصور مدى المرح الذي تضيعونه انتم الرجال عندما ترفضون القبول او الاعتراف بالأشياء الصغيرة التي نعتقد نحن النساء انها تجلب الحظ!»

«اني اتمنى من صميم قلبي ان تظلي كما أنت الآن قادرة على البقاء حرة من أوهام واقع الحياة وهمومها. ولكن علينا جميعاً في وقت من الأوقات ان ننمو عقلياً وننضج فكرياً. واحذر من انه ستحدث بيننا مجابهة. كان على هذه المجابهة ان تقع قبل زواجنا. ولكنه لم يكن لدينا الوقت الكافي لاجراء احاديث صادقة وصریحة...»
وتوقفت لحظة وهو ينظر الى عينيها ثم سألها:

«هل انت خائفة؟»

خائفة؟ كان يجب ان يسألها اذا كانت مذعورة! انه يريد منها احد امرين... اما زواجاً خالياً من الحب او فسخ هذا الزواج الخطأ، بينما هي لا تريد منه... سوى حبه! وضع غليونيه في جيب سترته ثم طوقها بذراعه بحنان وهدوء وسألها بعد بضع لحظات وهو يتأمل الحديقة:

«ستحضر ليزا بعد ظهر غد حفلة ميلاد احدى صديقاتها، اليس كذلك؟»

هزت رأسها علامة الایجاب وقالت:

«انها تنظر اليها بشوق وتلهف. من المؤسف جداً ان البيوت هنا بعيدة عن بعضها وليست لديها صديقة في منزل مجاور».

اجابها بشيء من البرودة والجفاف:

«أأست معها لحين عودتها الى المدرسة؟»

ثم أضاف قائلاً:

«على اي حال، اريد ان آخذك بعد ظهر غد الى اورانج كورال كاي كي تتعرفي على صديقة قديمة اسمها دانا كورتني انها تعيش هناك وهي شخصية محبة سوف تعجبك».

«اورانج كورال كاي! ما اجمله اسماً للجزيرة».

نظر اليها ملياً وسألها بهدوء:

«هل تحبين سانت مونيك، يا تينا؟ هل ما زالت تبدو لك بمثل الشاعرية التي كنت تتوقعينها عندما حدثتلك عنها في ذلك اليوم الخريفى على شواطئ تشورلي؟ ام انك اكتشفت ان معرفتك بها عن كذب طردت من تخيلتك ذلك السحر وتلك الجاذبية؟ تحدث هذه التحولات احياناً على الرغم من تعلقنا اليائس بالأمل في عدم حدوثها».

احست تينا بأن قلبها غار في مكانه وتوقف عن الحركة. هل يحاول جون ان يطلعها على مشاعره تجاهها؟ هل يواجه المشكلة التي سأل

عنها قبل لحظات؟ ربما كان وهو في لندن يأمل ان يستعيد معها بعض ما فقدته بوفاة جوانا... ليجد آماله محطمة على صخرة هذه الشابة السطحية التي اندفع للزواج منها! ارادت ان تبكي، ولكن الدموع ستفصح عواطفها وسوف يضع رأسها على كتفه بحنان ورقة ليخفف دموعها ويخفف من احزانها! الا انها لا تريد شفقة... تريد حباً حقيقياً نابعاً من القلب. حافظت على رباطة جأشها وأكدت له بكلمات هادئة انها تعتبر سانت مونيك مكاناً رائعاً وجذاباً.

تصورت نفسها اثناء اجابتها له كأنها سائحة... كأنها شخص يتوقع مغادرة الجزيرة عوضاً عن البقاء فيها. امسك جون بكتفيها بقوة فيما كان ينظر اليها بعينين قاسيتين توحيان بأنه يحاول جاهداً السيطرة على نفاد صبره وتعلمه. وقال لها بعصبية:

«لا تكوني صلبة ومهذبة معي اكثر من الضروري، يا تينا. انه تصرف يربكني ويزعجني... تشعريني بأنني الحقت بك الاذى دون ان أدري. لماذا تبكين؟ هل السبب هو شجارنا في السيارة بعد ظهر ذلك اليوم؟»

اطلقت ضحكة خفيفة تدل على العذاب والتأثر وقالت:

«اوه، تلك الحادثة! لا تخف، اعتدت على وصفك لي بأنني شخص عاجز او غير كفوء».

ضغط على كتفيها بعد ان بدا الغضب الحقيقي على وجهه، وقال:

«انا لا اعتبرك شخصاً عاجزاً ايها الغبية الصغيرة! تخلي عن هذه العادة القبيحة التي تدفعك الى التفكير بأنك أقل قيمة وجدارة مما انت! نمي في نفسك بعض احترام الذات! ارفعي رأسك عالياً».

«ولماذا افعل ذلك؟ هل تظن انني لا اعرف عندما ينظر الى الناس انهم يقارنونني بجوانا ويجدونني بديلاً ضعيفاً باهتاً لها؟ ليس لدي مثل جمالها في الوجه والقامة، كما انني شبه مبتدئة في جميع الامور التي كانت تبرع بها...»

وشعرت بألم يعصر قلبها عندما أحست في تلك الآونة بالتصاقه بها جسدياً وابتعاده عنها قلباً وفكراً، فأضافت بقساوة لم تندم عليها: «كان الأجدر بك ان تتزوج بولا. انها تناسبك اكثر مني في مختلف المجالات».

حبس أنفاسه بقوة ثم... وكأنه أحس ان ما من طريقة أخرى لاختراسها، اللهم باستثناء صفعها... أمسك بوجتيها وضغط على جسمها ضغطاً شل قدرتها على الحركة... والتفكير. شعرت بنبضات قلبه... وبأن ذراعيه على وشك تحطيم ضلوعها. بدا كأنه يريد عصرها... او حتى قتلها... خافت... ذعرت... أمسكت بشعره وشدت بأقصى قوتها. حملها الى الكنبه فيها كانت تحاول يائسة التخلص من قبضته... ومن شفثيه الجائعتين. انها لا تريد هكذا! لا تريد شهوة غاضبة ومتهورة... ومع ذلك فقد افلقت شعره وانزلت يديها المرتجفتين الى وجهه الدافئ... وفجأة... ابتعد عنها بسرعة وكأن شيئاً اعاده بعنف الى احاسيسه السابقة. نظر اليها بعينين حائرتين وزائغتين، ثم خرج مسرعاً الى الحديقة! وقالت تينا لنفسها بتأثر وانفعال انه سيكرهها الآن لأنها ارغمته على الكشف عن... نعم والم مبرح فيما يتعلق ببولا كاريش!

عندما ركبا الزورق بعد ظهر اليوم التالي، احس جون بأن الأمواج تتكسر بقوة اكبر من المعتاد. نظر فجأة الى معاونه جو وسأله: «هل تعتقد ان في الجو عاصفة؟».

تطلع البحار القديم الى السماء بعينين فاحصتين وأجاب بهدوء: «اعتقد ذلك ايها السيد، ولكني لا ادري متى ستهب. هل تريدني ان اعيدكما؟».

«لا، ستابع طريقنا الى جزيرة الأنسة كورتي».

ثم نظر الى تينا وقال لها:

«لا تقلقي! اذا هبت العاصفة فان ليزا ستنام الليلة في منزل

صديقتها».

«اليس من الطبيعي ان أقلق عليها؟».

«وربما ايضا بسبب الذهاب معي الى الجزيرة؟ كان على عمك مود ان تعلمك يا حلوتي بعض حقائق الحياة، لا ان تدعك تكتشفينها... من هذه الرواية او تلك!».

«ماذا تعني؟».

«هيا، هيا! فلو لم تكوني مذعورة الى تلك الدرجة امس، لما انفعلت وتصرفت على ذلك النحو المؤسف! حاربتني كقطة صغيرة ثم هربت الى غرفتك وأقفلت الباب من الداخل. اذكر انني نصحتك بالقيام بذلك، ولكنه لم يكن من الضروري ابداً ان تقولي لي ما قلته عن بولا».

اجابته همساً وقد أحست بألم ورعب شديدين بسبب اتساع شقة الخلاف وعدم التفاهم بينهما: «اني... اني آسفة على ذلك. جون...».

«نعم؟».

كان ينظر اليها بعينين باردتين وقاسيتين ويقول لنفسه انها تبدو الآن اكثر نضجاً... وجذابة الى درجة كبيرة. ولكنها تصورت انه ينظر اليها كأنها شخص لم يعد يعجبه. كانت نظراته قاسية الى حد جعلها تنكمش على نفسها وتقول له بلهجة خلت من الاندفاع والحيوية:

«اتمنى... اتمنى ان تكون الأمور بيننا مختلفة عما هي عليه الآن».

«وأنا ايضا! من المؤسف انها لا يمكن ان تكون، ولكن علينا ان ننظاها بالانشرار والبهجة ولو مؤقتاً... هذا على الأقل ما ندين به لليزا. وعندما تعود الى مدرستها يوم الاثنين، نقرر عندئذ كيفية تصرفنا وأسلوب عملنا».

مشى نحو جوتاركا اياها تتعذب وتتألم بمفردها. وفي وحدتها تلك أحست بأن عليها ان تنمو... ان تكبر... الا تغفل بعد الآن طفلة

صغيرة! والغريب في الأمر ان حبها لجون لم يمّت... بل ازداد وكبرا تحول من حب فتاة بسيطة الى حب امرأة راشدة... قادرة على تحمل الانفصال عنه اذا كانت تلك مشيئة ورغبته! وفيما كانت تتأمل البحر والأمواج، بدت امامها جزيرة صغيرة. وشعرت ببعض التوتر عندما عاد جون اليها وابلغها بأنها يتقربان من وجهتهما. اقترب الزورق من الجزيرة فظهرت اشجار النخيل كأنها لجنة استقبال تتمايل اجساد افرادها رقصاً وترحيباً بوصولها.

قفز جون من الزورق وساعد زوجته على النزول ثم طلب من جو ان يرمي له علبة الحلويات الكبيرة الفاخرة التي ظنت تينا انها هدية للأنسة كورتي. ولكن جون اعطاها لكبير الأولاد الموجودين على الشاطئ وطلب منه توزيع قطع الحلوى بالتساوي. ثم تبادل بعض الكلمات مع الصيادين الذين كانوا ينقلون السمك من قواربهم الى صناديق موضوعة على الرمال الدافئة. وبعد بضع دقائق، سارا نحو منزل الأنسة كورتي.

«جون تريكارل! كيف حالك؟»

نظرت تينا نحو صاحبة الصوت، التي كانت تنزل الدرج للترحيب بهما، فرأت سيدة مسنة ويدينه تزتر عنقها وأصابعها ومعصمها عقود وخواتم وأساور متعددة. وكان وجهها بشوشاً الى درجة كبيرة وتعلو ثغرها اعرض واجمل ابتسامة تشاهدها تينا منذ فترة طويلة. امسك جون بيد مضيفتها وهزها بحرارة قائلاً:

«اني بخير، يا دانا، وانت تبدين رائعة!»

«لا يمكنني التأفف ايها العزيز. فمع ان عسر الهضم يزعجني كثيراً بين الحين والآخر، الا انني احب الطعام ولا احرم نفسي من أي نوع احبه. وعندما يصبح الانسان في سني، فماذا يفعل سوى اعداد الطعام وتذوقه بشهية؟»

ضحك الزوجان فيما كانت دانا كورتي تنظر الى تينا قائلة:

«هذه هي عروسك يا جوني، اليس كذلك؟»

«نعم، هذه هي تينا».

لم يكن هناك أي تهكم او سخرية في صوته ولهجته، لا بل انه وجه ابتسامة خفيفة الى زوجته، من الواضح ان دانا كورتي صديقة قديمة يحلها ويقدرها. ربما اراد ان يبدوا امامها زوجين عادين يمشيان شهر العسل بسعادة وهناء. امسك بيد عروسه وقال لها:

«تينا! اعرفك على دانا، احدي اطيب المخلوقات في جزر الهند الغربية».

مدت تينا يدها لتتلففها يدان كبيرتان وتشدان عليها بود وحرارة، وقالت:

«كيف حالك، يا أنسة كورتي؟»

«نحن نعارض الشكليات هنا في اورانج كورال. ناديني باسمي الأول يا عزيزتي، فذلك يساعدني على الشعور بأني لا زلت شابة. انك فعلاً حديثة السن الى درجة مذهلة، وخجولة أيضاً. لا ادري من كنت اتوقع... ربما احدي سيدات ما يسمى بالمجتمع العصري المخملي».

ضحك جون وقال معلقاً:

«كنت اظن انك تعرفيني اكثر من ذلك، يا دانا».

«صح، ولكنك ايها العزيز الغالي في سن معينة وغريبة. واياك ان تظن ان عدم اقدامي على الزواج يعني انني لا اعرف شيئاً عن الرجال!»

ثم نظرت مرة اخرى الى تينا وقالت وهي تهز رأسها:

«أه، عندما اذكر الثياب البالية التي كنت مرغمة على ارتدائها في صباي... كم تبدلت الأيام والأحوال! بإمكان الانسان ان يجد أي شيء يحبه هذه الأيام».

«نعم! اصبحنا الآن نعرف القيمة الفعلية للأشياء التي نبتاعها بمالنا... مع انه يجب الاعتراف بأننا نحصل احياناً على اشياء مغشوشة لا قيمة لها».

وفيا كانا يتبعان دانا الى الشرفة الواسعة، تساءلت تينا بصمت
والمزما اذا كان بقدرتها ان تحب الى هذه الدرجة رجلا لم يشعر نحوها
ابدا بأي محبة او اهتمام حقيقيين. وبدأ لها بوضوح ان تلك العاطفة
البراقة التي اثارها فيه عندما كانا في لندن قد ذهبت وزالت. وشعرت
بان احلامها الرامية الى تحويل تلك العاطفة الى حب... انهارت
وتحطمت!

٧- الفرنسي الجذاب

جلست تينا على كرسي مواجه للحديقة كيلا تضطر للنظر الى
جون كلما رفعت رأسها وتطلعت امامها. كانت تشرب عصيراً بارداً
وتأمل المحيط، تحذوها رغبة غامرة للقفز في مياهه الباردة والابتعاد
عنه لفترة ولو وجيزة. الا انها حافظت على هدوء اعصابها وشاركت
في الحديث العادي الجاري بين جون والسيدة اللطيفة.
احبت دانا كورني لأنها تملك قدرة تثير الاعجاب على جعل
ضيوفها يشعرون بانهم في بيوتهم. ولكن تينا لم تكن في ذلك الوقت
بالذات في مزاج يسمح لها بالانشراح او التمتع باللقاءات
الاجتماعية... حتى مع هذه المخلوقة الرائعة. كانت تريد الانفراد
بنفسها والغرق في احزانها التي تلفها من كل جانب، كما تفعل مياه

المحيط بهذه الجزيرة الجميلة. اما جون، الذي خلع سترته ووضعها على حافة الشرفة، فقد كان غارقاً في احاديث مختلفة مع دانا وبدا مرتاحاً الى ابعد الحدود... وجذاباً الى درجة كبيرة. ولفت انتباهها سؤال دانا لجون:

«هل اعتادت ليزا على امها الجديدة؟»
«بشكل مذهل».

وتساءلت تينا بآلم عما سيكون عليه رد فعل الفتاة عندما تغادر... امها الجديدة... سانت مونيك! وسمعت دانا تضيف قائلة بصراحة فائقة:

«أتمنى من صميم قلبي ان تكونا عازمين على منح ابنتكما ليزا اختاً او اختاً. عشت حياة صعبة بعض الشيء لأنني كنت الطفلة الوحيدة في البيت، ولذلك تعجبني كثيراً العائلات المؤلفة من طفلين او ثلاثة».

ثم وجهت كلامها الى تينا بشكل خاص قائلة:

«عندما كنت شابة مثلك، رفضت الزواج من مزارع كندي ثري... من الرجل الوحيد الذي احببته، لأنني فضلت البقاء بقرب والدي المريض. جوني يعرف ذلك. لم ألق ابداً اللوم بكامله على والدي لأنني ضحيته بحيي وبمستقبلي من اجله، ولكني كثيراً ما ندمت على وجود شقيقات او اشقاء كان بإمكانهم الاعتناء بابي لو اني تزوجت وانتقلت الى كندا. لم تكن صحته آنذاك تسمح له بالسفر وكان يتضايق بشدة من البقاء بمفرده. اوه، ما بي اردد قصصاً اكل عليها الدهر وشرب! الأفضل ان ندع الوقت يزيلها من عقولنا وقلوبنا! المحزن في الامر ان هذه الذكريات المؤلمة تعاودنا بين الحين والآخر فتنهمر دمة او اثنتان... ثم ننساها!».

وهزت رأسها بقوة واعادت الى وجهها تلك الابتسامة المرحية وهي تضغط على ركة تينا قائلة لها بمحبة واخلاص:

«يجب ان يعج قصر الماء الأزرق ببعض الصغار الطيبين، يا

عزيزتي. فالمكان فارغ وينتظر مثل هذا التحول منذ زمن طويل». عضبت تينا بقوة شفتها السفلى التي كانت لا تزال غضة طرية من نوم الليلة السابقة... ولم تقدر الا ان تنظر الى وجه جون لتشاهد رد فعله على اقوال دانا. كان وجهه كالحجر الذي يعمل فيه نحتاً وتجميلاً، فيما كانت عيناه الزرقاوان تنظران اليها ببرودة وسخرية جعلتاها تشعر بضيق وانقباض... وكأنها خائنة وخبيث آماله. لا، انه هو الذي خانها ودفعها الى الشعور بخيبة امل مريرة! فعندما حملها بين ذراعيه وضمها بمثل تلك الرغبة لم يكن مدفوعاً بحاجته اليها... الى زوجته، بل بنهمه الى امرأة حبس اسمها داخل تلك العناقات المحمومة!

آه لو كان بإمكانها آنذاك ان تشعر بانه عانقها على ذلك النحو الجامح لأنها... هي... التي يريد ويحب!

لماذا لم يتزوج بولاً؟ هل اشتبه بأن لها علاقة بمقتل جوانا؟ اذا كان ذلك صحيحاً، فيا له من مسكين! وفجأة... بدأت تشعر بدوار ولم تعد تسمع اصوات الآخرين. فزعت... وارتكبت الخطأ المعتاد عندما هبت واقفة. احسنت بأن الشرفة تموج بها، ولكنها قبل ان تهوي الى الأرض امسكت بها ذراعان قويتان وسمعت صوتاً يردد اسمها بخوف وآلم... وغابت عن الوعي. افافت وهي ممددة على سرير ورائحة الاملاح المنشطة تعبق في انفها. نظرت بتعاسة الى دانا الجالسة قربها وقالت:

«يا لسخافة ما قمت به!».

«مهلاً يا طفلي العزيزة. ارتاحي وتنشقي مرة اخرى، انها تساعدك. الا تشعرين الآن بأنك افضل؟».

«نعم... نعم، شكراً».

لم تغب تينا مرة واحدة عن وعيها من قبل، فلماذا هذه المرة؟ شعرت بخوف حقيقي و... اعطتها دانا جرعة من الماء وقالت لها فيما كانت تنزل الستائر:

«انك لست معتادة على مثل هذا الحر الشديد، يا حبيبتي». ثم التفتت نحوها وازافت باسمه:
«انت شابة متزوجة ويمكنك ان اجد سبباً آخر للدوار... غير الحر. هل من مجال للتكهّن بأن ليزا لن تظل الطفلة الوحيدة بعد تسعة اشهر؟»
هزت تينا رأسها بعصبية بالغة اثار دهشة دانا، التي علقت قائلة:

«انت تعرفين اكثر مني يا عزيزتي. هل تثير اعصابك مسألة الانجاب؟»
«ابدأ، ابدأ».

اشاحت بوجهها بعيداً عن دانا متظاهرة بوضع الرسادة في مكان افضل، وذلك كيلا تفضح نظراتها الرغبة القوية في انجاب الاطفال ومعرفتها المسبقة بأن شيئاً من هذا القبيل لن يحدث. وسألت دانا:
«هل حملني جون الى هنا؟»

هزت دانا رأسها وجلست قربها مرة ثانية ثم سألتها بصراحة:
«هل من امر يشغل بالك يا صغيرتي وتريدين التحدث عنه؟ اعرف ان جون رجل يتكتم الى حد كبير عندما يريد ذلك. واذا كانت هناك امور لا يود التحدث عنها، فربما تمكنت انا من تزويدك ببعض الاجابات والمعلومات. ومن الطبيعي جداً يا تينا ان يعتربك الفضول ازاء زوجته الاولى».

شدّت بيدها على حافة السرير بعصبية وسألت مضيفتها:
«هل كان موتها قضاء وقدرًا، يا دانا؟»
«هل تريدني ان اكون صريحة جداً؟»
«ارجوك!».

«اعتقد ان شجاراً مع ابنة عمها أدى الى مقتلها».
«أوه، دانا!».

احست تينا بان جسمها يرتعش من رأسها حتى اخمص قدميها.

وتخيلت جوانا وهي تقفز الى البحر، لتموت في تلك الحادثة المؤلمة، بسبب ما قالته لها بولا عن علاقتها مع جون. وكان هو على الشاطئ... ومن المؤكد انه علم بان بولا سببت وفاة جوانا، ولو بطريقة غير مباشرة. ولكنه فضل حمايتها ولم يكشف هذا السر. وسبب ذلك واضح لدرجة ان تينا لم تعد قادرة على تحمّل آلامه وعذابه. وشعرت بيد دانا تشد على يدها بحرارة وتقول لها ناصحة:
«دعي الماضي يمضي يا عزيزتي. ساعدي جوني على ايجاد سعادة جديدة».

ارادت تينا ان تقول لها ان احزانه نتيجة تصرفاته الشخصية... نتيجة تعلقه ببولا. وسمعت دانا تضيف قائلة بهدوء ووداعة:
«كنت على معرفة وطيدة بجوانا. كانت جذابة الى ابعد الحدود ولكنها كانت تبدو احياناً بحاجة الى اكثر من الجاذبية. كانت متعلقة به الى درجة الجنون، ولكن الحب يشكل دائماً حالة من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي عندما يكون اعتماداً كلياً على شخص آخر لتأمين السعادة والهناء. واذا فشل زواج جوني الاول، فليس من العدل القاء اللوم بكامله على عاتقه. فالرجل يعطي نصف ذاته لعمله والنصف الآخر لزوجته، والزوجة الحكيمة تقبل هذا الواقع. الا ان بعض النساء لسن حكيما الى هذه الدرجة».

«هل جوانا منهن؟»

«نعم، مع الأسف».

«وهل بسبب ذلك اقام... اقام جون علاقة مع بولا؟»

هزت دانا كتفيها وقلبت شفتيها. وبعد فترة طويلة من الصمت، قالت دانا:

«ان خبرتي في الحياة طويلة يا عزيزتي، وعلمتني هذه الخبرة ألا احكم على أخطاء الآخرين. اننا ندفع ثمن هذه الاخطاء بطريقة او بأخرى. واذا كان جوني شعر بشيء تجاه بولا كاريش، فانه دفع ثمن ذلك واخرجها من حياته. الشهوة كزهرة مثيرة لا تعمّر طويلاً، اما

الحب فتظل اوراقه خضراء دائماً صيفاً وشتاء... اذا اعتنى به الانسان دون افراط او تهويل. اذا كان هذا اسلوبك في العناية بجوني، فلا تدعي احداً او شيئاً يقضي على حبكما!..
وماذا افعل ان كان لا يهتم بي الى هذه الدرجة؟..
تأملت دانا صديقتها الجديدة، التي كان يبدو عليها الحزن والارهاق، وقالت بهدوء بالغ:
«ينبت الحب عادة يا عزيزتي نتيجة للحاجة. ومن المؤكد ان جوني بحاجة اليك والا لما كان تزوجك».

وربتت السيدة الضخمة الخنون على وجه تينا وازدادت:
«ارتاحي الآن بعض الوقت لأن ذلك سيساعدك كثيراً».
وفيما كانت دانا تغادر الغرفة وتقف الباب بهدوء، راحت الأسئلة تضيغ في رأس تينا وتحرمها من النوم والراحة. هل من المحتمل ان تكون دانا على حق فيما يتعلق بحاجة جوني اليها؟ هل لا يزال هناك أمل في اقامة علاقة طبيعية بينهما، حتى بعد ان وصلا الى هذه المرحلة الحرجة؟ انه يجب ابنته كثيراً ولا يريد الحاق الأذى بها، وحرمانها من الأم الجديدة التي من الواضح انها تحتاج اليها كثيراً سيكون عملاً قاسياً لا يقوم به الا ذوو القلوب المتحجرة. ولكنه ليس متحجر القلب...

الحب! من المؤكد انه اكثر المشاعر والاحاسيس الانسانية ايلاماً وغموضاً... انه امر غير حسي ويتعذر تفسيره او تحديده، ومع ذلك فان بإمكانه ان يطعن القلوب كالخنجر... كما يفعل معها الآن.
كان جوني يعرف سبب رغبة جوانا في الموت. حاول جاهداً الحؤول دون ذلك... ولكن عندما وقعت الحادثة، ضمن الحماية لبولا وكان بذلك يحمي اسم زوجته ويحفظ كرامتها وسمعتها. اذا كانت جوانا قفزت عمداً الى البحر وصخوره النائة، فان ذلك يعتبر انتحاراً. ومن الافضل بكثير القول بأنها قضت بحادثة بدلاً من الاعتراف بالحقيقة المرة، وذلك اكراماً لليزا وحفاظاً على

مشاعرها...

استيقظت بعد ساعتين تقريباً على صوت الرعد، فيما كان البرق ينير الغرفة المظلمة بومضات قوية وشبه متلاحقة والمطر الاستوائي ينهمر بغزارة وقوة. انها العاصفة التي توقع جوني حدوثها... وهذا يعني انها سيظللان في اورانج كورال لحين هدوء العاصفة...
وجلست تينا بعصبية بالغة عندما قالت لنفسها انه ربما عاد الى سانت مونيك قبل هبوب العاصفة وتركها بعناية دانا... ربما حتى يوم الاثنين عندما يعود اليها ومعه حقائبها وتذكرة سفرها قفزت من السرير متوترة الاعصاب وهرعت نحو الباب ففتحته وهمت بالخروج لتسأل دانا عن...

«كنت قادماً للأطمئنان عليك».

واقترب منها جوني، الذي كان يحمل مصباحاً على الغاز بسبب انقطاع التيار الكهربائي، و اضاف قائلاً بلهجة قلقة:
«لا يزال الارهاق بادياً على وجهك!».

«لا، اني بخير. يبدو ان الحر كان شديداً بعض الشيء بالنسبة لي. اني اشعر بتحسّن ملحوظ الآن بعد ان برد الهواء قليلاً نتيجة لسقوط الأمطار».

وضع يده على كتفها التي كانت تؤلمها قليلاً نتيجة لضغطه عليها في الليلة السابقة فأجفلت قبل ان تتمكن من السيطرة على نفسها. حلق بها ثم ازاح فستانها قليلاً ليُشاهد الرضوض التي احدثتها اصابعه الغاضبة، وسألها بانفعال:
«هل انا فعلت ذلك بك؟».

«اني... اني اصاب بالرضوض... بسهولة».

ثم وضعت يدها على كتفيها لاختفاء تلك العلامات المزعجة وسألته:

«متى هبت العاصفة؟».

«منذ ساعة تقريباً... اسمعي يا تينا، اني لم اقصد ابداً...».

«اعرف . انا اغضبتك امس بتصرفاتي السخيفة . . . انت زوجي ولك كل الحق . . .»

«الحق! رباه، كم نسيء استخدام هذا الحق! اربعبتك امس بشكل مزر، وضميري يعذبني بسبب ذلك طوال الوقت. قلت لك كلمات قاسية وحقيرة ولا مبرر لها على الاطلاق».

وداعب شعرها لحظة ثم اضاف قائلاً:

«اذا كنت تريدني مغادرتي يوم الاثنين، فلا بأس بذلك. فالزواج بدون حب يرغب الانسان على القيام باعمال يجدها منفرة وكريهة!». احست تينا بان قلبها يكاد يتوقف عن الخفقان، وتمسكت بعنف بعذرها المنطقي الوحيد لطلب البقاء في مبانى مونيكا. اذ قالت بدهشة:

«ستشعر ليزا بحزن عميق فيما لو تركت الجزيرة».

ارتسمت على شفثيه ابتسامة خفيفة وبدت عيناه متعبتين وساخرتين عندما سألتها:

«تريدني البقاء من اجل ليزا؟ يبدو انك حقاً تهتمين بها، اليس كذلك؟».

«الى درجة كبيرة! انا لم اتمكن من التمتع كثيراً بطفولتي، ولذلك اصبحت ليزا عنصراً بالغ الأهمية لتعويض عما فقدته او لم احصل عليه. اعتقد اننا . . . نحتاج الى بعضنا».

حبست انفاسها وهي تنتظر منه ان يقول لها انه هو ايضاً بحاجة اليها. ولكنه، على العكس من ذلك، حلق بها وقال لها بلهجة جافة:

«لا حاجة لأن تنظري الي بمثل هاتين العينين الكبيرتين القلقتين. اذا بقيت في سانت مونيكا فاني لن اتوقع منك بذل اي توضيحات».

توقف لحظة ارادت خلالها تينا التعليق على كلامه، ولكنه سمرها في مكانها عندما اضاف قائلاً:

«هناك تعويضات متاحة في سانت مونيكا، وانا لن يعوزني اللهو

والتسلية. هيا لننزل الى قاعة الاستقبال قبل ان تجردانا نفسها الى هنا وتكتشف ما يعيق نزولنا. بالمناسبة، سوف نتناول طعام العشاء في بيت دانا. سيكون من الجنون ان نجازف بالعودة في مثل هذا الجو العاصف».

سبقته على الدرج الضيق حزينة ومنقبضة النفس. كيف لا، وكانت اشارته الى التعويضات المتاحة واضحة وليست بحاجة الى تفسير او تأويل. انه يهددها بالمرأة اللعوب . . . بولا كاريش!

استقبلتها دانا بوجه بشوش قائلة لها بمرح ظاهر انها تحب العواصف لان احداها ارغمت صديقها على البقاء ومشاركتها عشاءها الذي تتناوله عادة بمفردها. وبعد ان شربوا الشاي، دعت دانا ضيفتها الشابة الى ان تأخذ حماماً ينعشها ويعيد اليها بهجتها.

وفيا كانت تينا تسرح شعرها المتبل، دخلت دانا بوجه مشرق وسألتهما:

«هل ارتديت احد فساتين الساري من قبل، يا طفلي العزيزة؟».

تأملت تينا باعجاب تلك القطعة الطويلة من الحرير الخالص معلقة على ذراع دانا وقالت:

«لا، ابدأ! اعتقد انه جميل للغاية».

«اسمعي! لا يمكنني اعارتك احدي عبااتي لأنها ستبدو عليك كخيمة كبيرة. لذلك فاني سأعلمك كيف ترتدين الساري، اذ ان قوامك مناسب تماماً لمثل هذا النوع».

ثم غمزت باتجاه الغرفة المجاورة حيث كان جون يعد نفسه للنزول الى العشاء، وقالت بصوت هامس:

«ستكون مفاجأة لطيفة جداً بالنسبة لزوجك!».

مشى تينا نحو السيدة الطيبة وسألتهما فيما كانت تتحسرس القماش:

«رائع! هل هو حرير خالص؟ هل هو اصلي؟».

«نعم يا حبيبتي. عندما كنت صبيرة عشت مع والدي في الهند، حيث كان يحتل منصباً حكومياً. واخترت العيش هنا بعد وفاة أبي، لأنني طالما احببت الطقس الحار. هيا الآن، لنجرب الساري الذي يزيد الفتيات الهنديات جمالاً وجاذبية».

اقتربت تينا بعد لحظات من المرأة وتأملت نفسها باعجاب واضح. وسمعت دانا تتمتم بسرور بمائل:

«رائع، رائع! كيف تجدين نفسك ايتها العصفورة الجميلة؟»
ضحكت تينا بفرح وقالت:
«كالطاووس!».

وضعت دانا يدها برفق على كتف تينا قائلة لها بحنان، دون ان تشير من قريب او بعيد الى الرضوض:

«انك الآن بحاجة الى عقد يناسب الساري، وانا لدي العقد الملائم. انتظري لحظة كي احضره لك من غرفتي».

هل نزل جون الى قاعة الاستقبال؟ ماذا سيقول عندما يراها؟ هل سيجد الامر مضحكاً ومسلماً؟ هل...؟ عادت دانا الى الغرفة ومعها العقد الجميل فوضعت تينا حول عنقها ونزلتا الى القاعة لتجدا جون بانتظارهما. رفع حاجبيه بدهشة وهو يقف ويقول:

«اووه، انها حقاً مفاجأة!».

ابتسمت الزوجة الشابة بخجل وقالت له:

«انها فكرة دانا. هل يعجبك الساري؟».

دار حولها وهو يتأملها بدقة وعناية، ثم قال لها بنبرة صادقة:

«انه بالتأكيد يبرز معالم خفية من شخصيتك، يا صغيرتي. انك

رائعة!».

لم تصدق اذنيها، لانه بدا كأنه حقاً يعني ما يقول. ولكنها قررت

المضي بحذر بالغ مخافة الانزلاق. رفعت يديها عالياً ثم انحنت وهما

لا تزالان ممدودتين، وقالت له مازحة:

«الهدف الوحيد لحيايتي هو اسعاد سيدي».

ابتسم وقال لها:

«تحدثني نفسي في هذه اللحظة ان اصدق كلامك، يا تينا».

بعد العشاء الشهوي الذي تناولوه على ضوء الشموع، تطلعت دانا

الى جون وقالت له:

«اعتقد انه لا يزال لدي عدد قليل من ذلك النوع الفاخر من

السيكار الذي كان يستخدمه والدي».

واحضرت علبة من خشب الارز وفتحتها امامه قائلة بمرح:

«هيا يا جوني، اشعل واحداً وغلفنا بدخان».

توقفت العاصفة ولم يعد يشعر الساهرون الا بالرطوبة التي خلفتها

وراءها. قامت دانا الى الحاكي القديم ووضعت اسطوانتها المفضلة.

الفراشة المسكينة! المسكينة الجميلة التي احبت رجلاً وهب قلبه

لامرأة اخرى!

«هذه انغام تعيش الى الابد، وهذا اللحن بالذات كان مشهوراً

جداً عندما كنت صبيرة. عندما تنظرون الى الآن، بعد ان اصبحت

ضخمة ومستديرة كالبرميل، لن تصدقا انني كنت احدي افضل

الراقصات في حفلات بومباي. هل تحبين الرقص، يا تينا؟».

ابتسمت تينا واجابتها بخجل واضح:

«لم ارقص في حياتي ابداً الا مع... وسادتي، وفي غرفتي!».

تدخل جون فوراً ليقول لدانا مبرراً ذلك:

«كانت عمته التي ربته منذ صغرها، بعد وفاة والديها قاسية

ومعقدة جداً. كان يجب ان تربيهامرأة طيبة وحنونة مثلك يا دانا».

نظرت دانا الى تينا بحنان وقالت:

«اووه، كم كنا سنسعد برفقة بعضنا يا صغيرتي. الرغبة في

الانجاب جزء لا يتجزأ من طبيعة معظم النساء، والعناية بطفل امرأة

اخرى هي ثاني اروع شعور في هذا المجال. على اي حال، نحن الآن

صديقتان ويجب عليك ان تأتي الى اورانج كورال كلما سنحت لك

الفرصة. سيطلب جون من جو احضارك الى هنا كلما اردت».

تطلعت تينا بسرعة الى زوجها وسألته:

«هل يمكنني ذلك بين الحين والآخر؟»

«طبعاً يا حبيبتي، فانا اريد ان يصبح اصدقائي الطيبون من امثال دانا اصدقاءك».

وقف بتكاسل ثم فرك رجله اليسرى بسرعة وكأنها تؤلمه قليلاً. نظرت اليه دانا وسألته باهتمام وقلق جديدين:

«هل ما زلت تعاني من رجلك بعد هذه الفترة الطويلة؟»

«انها الرطوبة، وازعاجها لي ليس بذى اهمية على الاطلاق».

«كانت حقاً معجزة انك لم تفقد هذه الرجل يا جوني».

هز رأسه موافقاً، ولكن بدا واضحاً انه لا ينوي الحديث عن هذا الموضوع. اذ انه التفت نحو تينا مقترحاً عليها ابدال الساري لأنها سيعودان الى سانت مونيك. ابتسمت دانا وقالت لتينا:

«ستظلين كما انت، يا صغيرتي. الساري لك... لا اقبل اي اعتراض! انك تبدئين فيه جميلة جداً ويمكنك ان ترتديه بين الفينة والاخرى في احدى سهراتكما الانفرادية الرومنطقية. سأحضر لك شالاً من الكشمير تضعينه فوق الساري».

عادت دانا بعد لحظات ومعها الشال الحريري الجميل. وضعتة على كتفي تينا وقالت لها هامة:

«لا تتخلي عن احلامك بالسهولة ذاتها التي حدثت معي. فالحب يا صغيرتي يستحق ويستاهل تضحيات كثيرة، وبخاصة التضحية بالكبرياء!».

ادركت تينا على الفور معنى هذه الكلمات القليلة... اذا كانت حقاً تريد جون فما عليها الا ان تضع الماضي جانباً وتعمل على تحقيق مستقبل سعيد وزاهر. عليها ان تعطي من ذاتها... وان تأمل في ان يؤدي العطاء الى النتيجة المرجوة.

«سأعود قريباً يا دانا».

«اني انطلق قدماً وبشوق الى ذلك، يا عزيزتي. اتمنى لكما ليلة

سعيدة ورحلة هادئة وموفقة».

شكرها جون مرة اخرى وودعها متمنياً لها ليلة طيبة، ثم امسك بيد زوجته وتوجهها الى الزورق. وخلال دقائق قليلة، كان ذلك العملاق الوديع يستقبلهما بهدوء وسكينة ويقول لتينا وهو يساعدها على الصعود:

«كانت عاصفة قوية جداً، اليس كذلك يا سيدتي؟»

فك جون الحبل الذي كان يربط الزورق بأحد الاعمدة المخصصة لذلك، ثم قفز الى الزورق بخفة ونشاط، فيما كان جويدير المحرك ويتأهب للانطلاق. اقترب منه جون وسأله مستوضحاً:

«هل وجدت بنات عمك بخير، يا جوني؟»

ضحك الرجل العملاق وقال:

«ولا ادري ماذا فعلت تلك اللعينة ميليسنت بشعرها حتى اصبحت تبدو كفزاعة! ماذا تفعل بالنساء يا سيدي؟ انهن دائماً يتحايلن على الرجال... وعلى انفسهن ايضاً!».

ضحك جون وقال:

«اني اثني على هذا الكلام الحكيم».

تطلعت نحوه تينا فوجدته ينظر اليها بعينين ساخرتين كأنه يقول لها انها هي ايضاً تتحايل عليه... وعلى نفسها!

توجهت عائلة تريكارل صباح الاثنين الى باربادوس، حيث اعيدت ليزا الى مدرستها الداخلية وقرر جون ان عليه وتينا تمضية بضعة ايام في هذه الجزيرة الخلابة.

اقاما في فندق تحيط به حدائق غناء ويطل على خليج جميل يعج بالاسماك الملونة المجنحة. وقالت تينا لزوجها ان من الجريمة اصطلياد هذه الاسماك الجميلة لاكلها، ولكنها اضطرت للاعتراف بان طعمها لذيق وشهي. وقبل ظهر ذلك اليوم ذهبت تينا وجون للسباحة في بحيرة العشاق. وشاهدت للمرة الاولى اثر الجرح الكبير والعميق في فخذه. ارادت ان تضع اصابعها الناعمة على مكان الجرح...

ارادت ان تقترب منه اكثر كامراً ناضجة و... وعاشقة. ولكنه يتصرف معها كصديق وليس كعشيق... كجارٍ وليس كزوج. والغريب في الامر ان ذلك التصرف يحمل في طياته بعض الطمأنينة والسكينة وراحة البال. ورات تينا ان افضل وسيلة لمعالجة الموقف تكمن في ترك الأمور تجري مع تيار الهدوء الذي يعم حياتها، مدركة بان التيارات الباطنية ستظهر عندما تصبح جاهزة. وأقسمت انها هي ايضاً ستصبح جاهزة، وبأنها لن تسمح لبولا كاريش بفرصة ثانية لافساد حياة جون.

في ذلك المساء ذهبا الى بريدجتاون لتناول طعام العشاء في مطعم يقع على سطح احدى البنايات العالية ويسمى مطعم النجوم الساطعة. كان جون يبدو بالنسبة لها اقوى الرجال شخصية واكثرهم اناقة وجاذبية. وافهمتها نظراته كلما تحدث اليها انه مؤله بها وبذلك الفستان الابيض الجميل الذي اقنعتها جاي لانتينغ بابتاعه. وسألها فجأة باسماء، بعد ان بدأت الفرقة الموسيقية الرباعية عزف مقطوعة راقصة:

«هل صحيح ان احداً لم يراقصك من قبل... وان الوسادة كانت الشريك الوحيد؟»

هزت رأسها علامة الایجاب، فيما كانت اصابعها تنقر بهدوء على الطاولة مدفوعة بطريقة لا شعورية بذلك اللحن الراقص. انها سعيدة.

«علينا اذن ان نضع حداً نهائياً لذلك. واعتقد ان رجلي اليسري لن تشكل عائقاً امام بضع رقصات مع انذارك مسبقاً بانني لم اكن يوماً راقصاً بارعاً».

نهض من كرسيه واقترب منها داعياً اياها الى الرقص. وخلال لحظات، كانت تينا تقف في وسط الحلبة يطوقها الرجل الذي تحبه بذراعيه القويتين ويضمها الى صدره بقوة وحنان. ومع انها كانا ربما اسوأ راقصين في تلك الحلبة، الا ان تينا كانت تشعر بسعادة فائقة

وتتمتع بكل لحظة من لحظات وجودها بين ذراعيه. وجاءت كلمات الاغنية التالية، التي كانت ترددها بصوت دافئ مغنية سمراء جميلة، تعبر عن مشاعر تينا واحاسيسها: «لا يمكنني ان اصدق انك هنا، قريب مني، ملتصق بي الى هذه الدرجة. ضمني اليك بقوة، شدني اليك، انها ليلتنا...».

استقلا عربة يجرها جواد قوي، وكان القمر بدرأ والطريق شبه خالية. وقالت تينا لنفسها ان هذه الجزيرة خير مكان لتمضية شهر عسل. وعندما وصلا الى الفندق واقترح عليها جون القيام بنزهة في الحدائق الجميلة، تساءلت عما اذا كان هو ايضاً ينظر الى وجودها هنا بالمنظار ذاته.

«كانت هذه الايام القليلة جميلة، اليس كذلك؟ انها جزيرة رائعة، لا تتغير ابداً».

«تتمتع بكل لحظة من فترة وجودنا هنا».

توقف عن السير امام بركة ماء تطفو على سطحها ازهار الزنبق ثم وضع يديه برفق وحنان على خديها ورفع وجهها نحوه. ذابت حبا وهياماً واحست في تلك اللحظة انها على استعداد تام للقبول بحنانه فقط، ان كان هذا اقصى ما يمكنه ان يريده، وانها لن تطلب منه اكثر من ذلك.

وسمعه يتمتم هامساً:

«اوه، تينا!».

ومع انه وضع خده على جبينها وظل ممسكاً بخديها، الا انه لم يحاول تقييلها. وتساءلت بحزن صامت عما اذا كانت الذكريات تلاحقه الى هذه الجزيرة! هل زار بربادوس مع جوانا؟ هل وقف هكذا في مثل هذه الحديقة؟ وشعرت تينا بجسدها يرتعش ويرتجف دون ان تتمكن من السيطرة على اعصابها المتوترة. وفجأة ابتعد عنها قائلاً: «هيا بنا، لندخل!».

احست بالبرد والضيق... ولم تعلم سوى ان شيئاً ما يعذبه

عادا في اليوم التالي الى سانت مونيك وبدأ جون فور وصولها تقريبا يمضي الساعات الطوال في العمل داخل تلك الغرفة الخاصة ذات السقف الزجاجي. دفعها الفضول الى الاستفسار عن طبيعة عمله، فلم يخذلها بل شرح لها كافة الامور بدقة وروية. ولكنه ابلغها صراحة بأنه يفضل العمل على انفراد، وبخاصة لأنه يريد التركيز العميق. انه يصنع تمثالا من الطين لشخص لا يجلس امامه... وبالتالي فانه مضطر للاعتماد على ذاكرته والرسوم المتعددة التي اعدّها في الاسابيع الماضية. كانت تسليتها الوحيدة معه عندما يخرج من تلك الغرفة في المساء ويجلس معها في القاعة، حيث يتحول من فنان خلاق منكمش على نفسه الى رجل طيب يتبادل وزوجته الاحاديث الودية والاجتماعية المريحة.

لم تكن ايامها تعبسة او عملة، لأنها قررت ان تدع الامور تجري على طبيعتها لحين انتهائه من عمله. كانت تمضي فترات طويلة في السباحة والقراءة والاهتمام بامور المنزل. ولما توجهت صباح احد الايام مع توباز الى السوق لابتياح بعض الحاجيات، التقت رالف كاريش الذي بادرها قائلا:

«لماذا لم تحضري لزيارتنا، يا تينا؟»

كانت قررت عدم زيارته لأنها ستضطر للالتقاء ببولا، وهو امر تمجه ولا تستسيغه اطلاقا. ولكنه عندما ابلغها بطريقة عفوية وصادقة انه سيكون وحده في البيت بعد ظهر اليوم التالي، وافقت على زيارته لشرب الشاي. رفع اصبعه محذرا بود ومرح ظاهرين:

«لا تخذليني! سأكون بانتظارك».

ثم سأل توباز عن اولادها فاجابته انهم بخير. ولاحظت تينا ان خادمتها تبسم لهذا الرجل بصدق واخلاص، بعكس نظراتها العدائية الى شقيقته. ويعد ان ودعها رالف، قالت توباز:

«السيد رالف رجل مهذب وطيب جدا. انه ليس كذلك الأنسة

بولا».

ارادت تينا ان تسأل توباز عما تعنيه بكلامها هذا. فزوجها جو كان موجودا صباح ذلك اليوم الذي توفيت فيه جوانا وهو الذي انقذ حياة جون. ربما شاهد شيئا ما ذلك الصباح وابلغه لزوجته. ولكن دانا كورتني نصحتها بعدم نبش الرماد وبأن تدع الوقت يمحو تلك القصص والذكريات الاليمة. شاهدت نوعا من السمك يحبه جون كثيرا، فاقتربت من البائع واشترت منه كمية كبيرة بعد ان ساومته وحصلت منه على سعر جيد. وفيما كانت توباز تضع الحاجيات في صندوق السيارة، التفتت الى تينا وقالت لها:

«اصبحت دبة بيت ذكية جدا، يا سيدتي. هذه السمكات طيبة وشهية الى درجة كبيرة اذا اعدت مع الرز والبصل ثم اضيفت اليها كمية من الزبدة والفلفل».

شجعته تينا على التحدث عن الطعام وطرق اعداده، وذلك تجنباً لأي حديث يعيد الحزن الى قلبها والفضول الطاغى الى تفكيرها. ولكن بدا لها في وقت لاحق ان احداث الماضي لا يمكن تجاهلها تماما. ففي صباح احد الايام وقفت تتأمل الجانب البحري لقصر الماء الأزرق، حيث تبين لها ان النوافذ الثلاث في الطابق العلوي مغطاة دائما بستائر زرقاء اللون. ولاحظت توباز ذلك فابلغتها بان تلك الشقة هي التي كانت تسكنها زوجة السيد جون الاولى.

شعرت بتحد قوي ورغبة جامحة لزيارة تلك الشقة والاطلاع على محتوياتها وكيفية تأنيثها، ولكنها لم تفعل ذلك الا بعد بضعة ايام عندما عكر مزاجها ما لاحظته من ابتعاد زوجها المتزايد. ارتعشت يدها عندما بدأت بفتح باب الغرفة! كان كل شيء مغطى، الا انه لم يكن هناك غبار وكأن الغرفة تنظف بين الحين والآخر. ومع ذلك فقد بدت الغرفة كمقبرة! فتحت الخزائن... فلم تجد ايا من ملابس جوانا او احذيتها! ذهبت جوانا وذهبت اغراضها الشخصية... ولكن الشبح لم يذهب! انه يلاحق جون... ويلاحقها! وخرجت تينا

بسرعة من تلك الغرفة ولكن رائحة الموت ظلت لساعات عدة عابقة في انفها. هل دخل جون الى غرفة جوانا بعد وفاتها؟ ليتحسس الاثاث الرائع الذي اختارته جوانا... والذي يناسب جمالها وسحرها؟ هل وقف امام النوافذ الثلاث ليتأمل المحيط ويسمع صوت زوجته الراحلة؟ صوتاً يسأله باكياً لماذا توقف عن الاهتمام...

بدا بيت رالف كارش اكبر بكثير مما توقعته تينا، وكانت تحيط به اشجار باسقة تحفیه عن عيون الفضوليين وتقع امامه حديقة جميلة. الا ان تينا لم تجد كلباً يقفز هنا وهناك وهز ذيله ترحيباً بالقادمين. ومع انها تعرف ان بولا ليست بالشخص الذي يحب الحيوانات او تدليلها، الا انها لم تجد موضوعاً آخر تستهل به الحديث مع رالف. فسالته بهدوء:

«الست لديك اي قطط او كلاب، يا رالف؟»

ابتسم واجابها بهدوء مماثل:

«لدينا بضعة كلاب حراسة في الحقول وقرب المعمل.»

ثم اضاف باعجاب واضح:

«انك تبدين رائعة، يا تينا.»

فردت الابتسامة الصادقة والبريئة بالمثل قائلة:

«اوه، شكراً.»

«ما رأيك بكوب من العصير البارد قبل ان نقوم بجولتنا السياحية في الحقول والمعمل؟»

هزت برأسها مبتسمة وجلست على مقعد مريح تنتظر الشراب البارد وتتأمل ما يحيط بها. وقالت لنفسها من المؤسف جداً ان يظل هذا الرجل الطيب عازباً يعيل شقيقته العاطلة والمبدرة، بدلاً من ان يتزوج فتاة يحبها وتحبه ويعيش معها حياة سعيدة وبعيدة عن المشاكل التي تسببها اخته. وسألها رالف لدى عودته:

«كيف حال جون هذه الايام؟ لم اره منذ حوالى اسبوعين.»

ثم اضاف ضاحكاً:

«انصور ان هموم شهر العسل لم تنته بعد بالنسبة اليه.»

ابتسمت تينا واجابته بهدوء:

«انه منهمك في العمل على مشروع جديد. بالمناسبة، هل يترك مسؤوليه الادارة هنا على عاتقك وحدك؟»

«طبعاً، ولكني لا امانع بذلك على الاطلاق. فجون فنان بطبيعته ولا يمكنك بالتالي ان تتوقعي منه اظهار حماسة او اهتمام فعليين بالمحافظة على خلواشجار الموز من الحشرات المؤذية، او بما اذا كان المحصول السنوي للحمضيات يستأهل مشقة تربية اشجارها والاعتناء بها طوال العام. هذا في حين اني انا اشد شعري حنقاً وغضباً عندما لا يكون موسم الليمون كما اريده. فالمشكلة اني لا احب الفشل!»

«ما من احد يحب الفشل!»

تطلعت بسرعة الى الحديقة تفادياً لظفراته التي تنم عن اهتمام بالغ بما قالته وبالكيفية التي قالتها بها. ولكن السؤال المخرج الذي حاولت تجنبه جاء سريعاً وهاذا:

«كصديق قديم لجون وكشخص يهتم كثيراً بسعادته، هل تسمحين لي بان اطرح عليك سؤالاً خاصاً؟»

توترت اعصابها قليلاً ولكنها حاولت اخفاء انفعالها، فقالت له بهدوء:

«اسأل يا رالف! هل تريد ان تعرف ما اذا كنا سنفصل عن بعضنا؟»

وضع يده على معصمها وقال بلهفة صادقة:

«ارجوك، لا تظني اني شخص فضولي يحب التدخل في شؤون الآخرين! ولكن هناك اشخاصاً لا تأتيم السعادة بيسر وسهولة. جون منهم، اختي منهم، وربما... ربما انت ايضاً منهم!»

ردت عليه بشيء من الحدة نتيجة الألم النفسي الذي احست به:

«انك... انك تصورنا كمثلث! هل... هل يبدو واضحاً جداً انني لا اخلق في سماء السعادة الزوجية؟»
«هذا كلام شاعري لا ينطبق على الواقع. انت ذكية بما فيه الكفاية لتعرفي ان السعادة الزوجية لا تتحقق الا باقامة علاقات طبيعية مبنية على اسس صلبة من الثقة والاحترام المتبادلين، والاهداف المتحالفة المتعاضدة، والانسجام الفكري... والجسدي. انت تمثلين كل ما يحتاج اليه جون وكل ما لم يحصل عليه من قبل...»

وشد باصابعه على معصمها فرسم سواراً احمر اللون حوله. و اضاف قائلاً بالحماسة ذاتها:

«هل تضعين عراقيل دفاعية في وجهه؟ دفاعات لا تدركين فعلاً معناها ونتائجها السلبية؟ انت مثلي، انسانية منطقية على نفسها. وانا اعرف كيف يشعر الانسان مثلنا عندما يحاول جاهداً الانطلاق من عزلته والانفتاح على الآخرين... فيها هو يتلقى الصدمة المؤلمة تلو الاخرى!»

اوه، كم هو على حق! كيف سيشعر الانسان عندما يكشف عن حبه العميق ويواجه بنظرة باردة وساخرة؟ وسمعت نفسها تجيبه هامة بالـ:

«انه لا يجنبي... فكيف يمكنك ان تلومني ان انا قررت حماية قلبي؟»

ولماذا انت متأكدة الى هذه الدرجة من عدم حبه لك؟»

«انت الذي يجب ان يعرف! انت شقيق بولا!»
«اوه!»

وخيم صمت مطبق ثم قال لها فجأة:

«هل يساعدك بشيء تأكيددي لك بأن جون لم يحب اختي ابداً؟ ما كان بينهما...»

قاطعته تينا بحدة فيما كانت تهب واقفة:

«ارجوك، دعنا نتوقف عن متابعة هذا الحديث! هيا ايها الدليل السياحي، لنقم بجولتنا المرتقبة!»

عادا بعد ساعتين تقريباً ليجدا بولا وصديقها الفرنسي جالسين في القاعة. وقف الرجل بسرعة لدى دخولها وقال:

«اني سعيد جداً بلقائك مرة ثانية، يا سيدة تريكارل!»

«كيف حالك يا سيد دو بندريمون؟»

نظرت بولا الى اخيها، الذي قطب جبينه لدى دخوله القاعة، وقالت بغنج:

«لا تغضب مني، يا رالف. احسست بصداق قوي اثناء التزلج على الماء فاوصلني داسييه الى هنا. اعرف ان وصول ضيف اضيفي بصورة غير متوقعة امر مزعج، ولكن اتصور ان لديك طعاماً كافياً لنا جميعاً.»

هز رالف رأسه تحية للرجل الفرنسي وقال لاخته ان لديه بالطبع طعاماً كافياً للجميع. ثم دعا تينا الى الجلوس، فيما كانت بولا تقول لها:

«ايتها العزيزة، هل ستردّين ضيافة رالف بدعوتنا مرة الى العشاء؟»

«بولا!»

«اوه، خفف عنك يا رالف! تينا انتهت من شهر غسلها واريد ان يجتمع داسييه بجون. حسناً! ما رأيك، يا تينا؟»

«من المؤكد انني... انني احب حضوركم جميعاً الى العشاء. سادعوكم في... في اقرب فرصة ممكنة.»

ابتسمت بولا وكأنها حققت انتصاراً باهراً وقالت:

«عظيم، عظيم! هذا ما كنت اتوقعه تماماً! والآن يا رالف، ما رأيك في ان نشرب الشاي؟ اني اشعر بتحسن كبير وقد زال صداعي فجأة.»

٨ - طلاق أو سعادة؟

قالت تينا لجون اثناء تناولهما فطور الصباح انها تفكر باقامة حفلة عشاء تقتصر على عدد قليل من الاشخاص. اجابها بالموافقة، ولكنه اراد ان يعرف مسبقاً من هم هؤلاء الاشخاص.

«رالف وبولا... وكذلك داسيه دو بنديمون. وآمل ايضاً في ان تقترح لي اسم شابة لطيفة كي ادعوها كرفيقة لرالف». «هناك جانيت ماكراي».

ثم اضاف بنبرة استفزازية بعض الشيء: «انها لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها، ولكننا نحن الكهول نحبهن صغيرات بريئات كندى الربيع». ماذا سيفعل هذا الزوج الساخر لو انها استدارت حوله فجأة

وضمته بعنف؟ ولكن لماذا تطرح على نفسها سؤالاً كهذا؟ عادت الى موضوع الفتاة التي التقتها عندما ذهبت وجون لاحضار ليزا من منزل ماكاري. انها شابة جميلة وذات شخصية قوية ومنفتحة، ومن المؤكد انها ستكون تحولاً طيباً بالنسبة لرالف... الذي يمضي وقته بكامله مع تلك الأخت المتحجرة.

«جانيت رفيقة ملائمة جداً لرالف».

«هل تعملين على ايجاد عروس لرالف؟».

«انه شاب طيب للغاية ويعمل بجهد واخلاص حقيقيين في ادارة ممتلكاتك واعمالك واعتقد انه سيكون زوجاً رائعاً للفتاة الملائمة».

اختفت الابتسامة من وجه جون وحلت محلها نظرات قاسية وحادة. ثم سألتها:

«وما هو دور بولا في هذه المسرحية؟ هل تظنين ان ذلك الثري الفرنسي يتوي اخذها معه الى مارتينيك؟».

تمنت تينا من صميم قلبها ان يكون داسيه مهتماً عاطفياً ببولا عله يأخذها معه. الا انها لم تكن تتوقع ذلك. فمع انها يبدو ان كشيخين عاشقين على امة الزواج، الا انها لاحظت في الليلة السابقة ان داسيه ينظر ببرودة... وربما بشيء من الازدراء... الى بولا. انها ليست بالمرأة التي تستهويه كزوجة.

انها فطورهما فانصرف جون الى عمله وذهبت تينا الى الشاطئ. أصبحت مسافة طويلة وراحت تغطس وتقفز كطفلة صغيرة. وبعد حوالي نصف ساعة عادت الى الشاطئ واستلقت على معطفها القطني، البرتقالي اللون، المخصص للبحر او للحمام. اغمضت عينيها واخذت تفكر بانواع الطعام التي ستقدمها في الحفلة المقبلة... و...

استيقظت بعد فترة من الزمن وراحت تداعب الرمال الدافئة بأصابع ثابتة وقوية. وفجأة سمعت رجلاً يقول لها:

«انك رائعة الجمال يا حلوتي الصغيرة».

استدارت بسرعة الى يمينها لتشاهد داسييه دو بندريمون جالساً قربها مرتدياً ثياباً رياضية جذابة ويأكل برتقالة. وقبل ان تجيبه، وضع برتقالة اخرى في يدها وهو يقول:

«اني اجد هذا النوع من الفاكهة لذيذاً ومنعشاً الى درجة كبيرة».

ادركت تينا وهي تأكل برتقالتها انها موجودة الآن قرب شخص متفهم ويمكن الاعتماد عليه، الا ان هاتين الصفتين لا تبدوان عليه تماماً. ومع انه بالتأكيد رجل يعرف الكثير عن النساء، الا انه لا يستغل تلك المعرفة بل يتظاهر بأسلوب جذاب بانه لا يزال معرضاً للوقوع فريسة الاغراء.

«هل اتيت الى هنا بهدف مقابلي؟».

«نعم. فقد بدا عليك امس انك حزينة بعض الشيء». هل فقد زوجك الطبيب اهتمامه بعروسه؟».

احمر وجهها خجلاً وقالت له:

«انه سؤال شخصي جداً، يا سيد دو بندريمون! سؤال يمكنني تجاهله بكل سهولة ثم... انها المرة الثالثة التي نلتقي فيها وحسب!».

«مرة واحدة قد تكون عادة كافية لشخصين معينين كي يعلما انها متعاطفان مع بعضهما».

ثم اخرج علبة سكاثره وقال لها:

«انصبر انك لا تدخنين، اليس كذلك؟».

هزت رأسها واجابته بهدوء:

«لا، فانا من الطراز القديم».

«لا تأخذي موقفاً دفاعياً بالنسبة لهذا الموضوع، يا... يا تينا».

واشعل سيكارته ثم اضاف بسرعة:

«آمل ان تسمح لي بمناداتك باسمك الأول».

ابتسمت وقالت له انه لا بأس في ذلك. وتساءلت صامته عما اذا كان يحاول مغازلتها. لم يغازلها احد من قبل الا نادراً... غازلها جون بطريقة عملية بحته، ربما لأن رغبته في الحب جفت وماتت منذ فترة طويلة.

«بماذا تفكرين، يا تينا؟ هل تظنين بانه لا يحق لفرنسي عازب بأن يصف سيدة متزوجة بأنها رائعة الجمال... وبأن عليه التظاهر بانه يفضل التطلع الى... الى شجرة نخيل مثلاً؟».

«اعتقد ان اشجار النخيل جميلة وجذابة جداً».

واخرجت وشاحاً صغيراً من جيب معطفها لتربط به شعرها. وفي اللحظة التالية كان داسييه يأخذه من بين اصابعها برقة ونعومة ويلقيه على الرمال قائلاً بلهجة الامر:

«دعي شعرك كما هو الآن. الاشياء الجميلة يجب الا تربط وتدجن».

ضحكت تينا وقالت له:

«اوه، كفى يا داسييه! انه لأمر جميل ان تحاول رفع معنوياتي، ولكن اياك ان تبالغ كثيراً».

هز كتفيه بمرح ظاهر وقال:

«اذن، فاطرائي لزوجتي جون تريكارل يذهب سدى! عم نتحدث الآن؟ عن الزواج؟».

«انه موضوع يثير الاهتمام باستمرار».

«انه مثير ومعقد في آن، وبخاصة عندما تمنح شابة قلبها الى رجل في سن والدها تقريباً وكان متزوجاً من قبل. هذه خطوة لا تقدم عليها الا فتاة شجاعة».

نظرت اليه باستغراب واحست بانه يبدي اهتماماً حقيقياً وصادقاً بمشكلتها، وانه لا يحاول التدخل بشؤونها لمجرد ارضاء فضوله. واضاف قائلاً، وكأنه قرأ افكارها:

«نعم، اني اهتم بامورك يا تينا. انك شابة مخلصه طيبة القلب، واعتقد ان لديك قدرة هائلة على تكريس حياتك باخلاص وتفان لمن تحبين. لو التقينا قبل زواجك من جون تريكارل، لكنت اختطفت قلبك وحملتك على اجنحة الحب والسعادة. انك تضحكين مرة اخرى وتظنين انني امزح».

«اني حقاً اعتقد انك تمزح، وازاهن على انك اختطفت قلوب عدد كبير من النساء في حياتك».

«يقطف الرجل عادة الثمرة الناضجة. اما النوع الخجول والأخضر فيتركه معلقاً حتى يشعر بأنه يحتاج الى زوجة او يريد زوجة».

«وبهذه الطريقة يحصل الرجل على سعادة مزدوجة... يلهم مع من يعتبرهن متحررات ثم يختار فتاة خجولة ومهذبة كزوجة. من المؤكد ان امنا الطيبة تفضل جنسكم».

«طبعاً! انها انثى! ثم... ألا تصبح الحياة عملة عندما يكون الرجال كالحیوانات الداجنة تشدهم النساء من انوفهم؟ لا اظن انك تحبين ذلك... فأنت انثى بكل ما في الكلمة من معنى. انا لا احب ابداً النساء اللواتي يحاولن التصرف كالرجال».

ضحكت وسأله ببراءة:

«هل تعرفت الى عدد كبير منهم؟».

«ليس في مارتينيك او باريس، ولكن هناك عدد لا بأس به في الولايات المتحدة وبريطانيا. وانا بالتأكيد لا ارغب في الزواج باحداهن».

«انت بالطبع تريد ان تكون السيد».

ابتسم ورد مازحاً:

«سأسمح لها ببعض الأمور... ان تختار مثلاً ابريق الشاي الذي يعجبها او ان تضع اناء الزهور في هذا المكان او ذاك».

«اوه، هل هذا ما يقترحه الرجل الفرنسي لتأمين زواج

سعيد؟».

ثم تنهدت وازافت قائلة قبل ان يتمكن من التعليق أو الاجابة: «تبدو حلول المشاكل الزوجية دائماً سهلة، ما دمنا اننا لا نواجهها».

«ما هي مشكلتك الخاصة، يا تينا؟ هل يساعدك التحدث عنها؟».

«لا... لا اعرف. ولكن من المؤكد ان اختيار ابريق الشاي الذي يعجبني لا يحل شيئاً».

تطلع ملياً الى وجهها الحزين وقال بهدوء:

«نحن لا نعرف بعضنا الا منذ فترة قصيرة ولكن كلا منا يعلم اننا اقمن علاقة تفاهم وصداقة. وكصديق، سوف اتحدث اليك بصراحة فائقة. انت لست زوجة سعيدة، وهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها. وجدت نفسك في وضع يثير دهشتك ويوتر اعصابك، وانا لا احب ان اراك هكذا. قلت لي في اللقاء الاول ان ذكريات الماضي لا تزال تلاحق زوجك حتى الآن. هل ما زالت الاشباح موجودة هناك، في الشقة البحرية، تخيم على علاقتك مع جون تريكارل؟».

ارتعش جسمها تأثراً واحست بالحاجة لتعاطفه وتفهمه، فقالت:

«اعتقدت في البداية ان بإمكانني مساعدة جون على تناسي الماضي، ولكنني بحاجة الى الحب... حبه لي! وبدلاً من ذلك، هناك جدار بيننا! نبسم لبعضنا... نبحث في أمور يومية... ولكننا نشعر بالحاجز الذي يفصل بيننا كلما لمس احدهنا الآخر».

واحست بأنه امسك بيديها وشد عليهما فيها كان يقول:

«الزواج الذي يحزنك كثيراً ولا يفرحك الا قليلاً ليس لك، يا عزيزتي. فالحب من جانب واحد لا يحمل في طياته الا بدور الكارثة،

وعندما تنضج هذه البذور فانت التي ستحصدين الموسم السيء والمرير...»

«لا... لا، ارجوك!»

وضعت رأسها على ركبتيها وكأنها تشعر بالمرح، اذ انها لم تعد تتحمل سماع كلماته التي تحمل الكثير من الحقيقة. احست بانها فراشة صغيرة عليها ان تطير او ان... تحترق. امسك بخديها ورفع وجهها نحوه، ثم انزل يديه الى كتفيها وشعرت فجأة بحرارة جسمه الملتصق بها. تسمرت في مكانها... انها بحاجة للحنان، للحب...

«لا توجد اشباح في حياتي، يا تينا. قلبي يريدك انت... انت فقط!»

ماذا يقول؟ ماذا يفعل؟ انتبهت الى انه مددها على معطفها القطني وحجب الشمس عن عينيها بمنكبيه العريضين، وانها تنظر اليه وتشعر بوجوده مع انها لم تدرك بانه يحدثها ويتصرف معها... كما شق! وضعت يديها على صدره ودفعته عنها قائلة بحدة: «لا، لا يجب الا تفعل ذلك، يا داسيه!»

حملت معطفها بسرعة وركضت تجاه الدرج المؤدي الى ساحة المنزل. وفي منتصف الدرج الصخري، اصطدمت برجل آخر ينظر اليها بعينين قاسيتين ووجه كانه قد من حجر. «جون!»

قالت اسمه بصوت مرتعش وهي تحلق به حائرة مذعورة، بعد ان ادركت انه كان بإمكانه ان يرى الرجل الفرنسي منحنيًا فوقها... و...

«ألن توجهي دعوة الى صديقك الوسيم لتناول الغداء معنا؟ اعني ان ضيافتنا له يجب ان تشمل ايضاً قاعة الطعام، بدلاً من ان تقتصر على الشاطئ!»

وقفت امامه دون حراك وغير قادرة على الاجابة. ضاعت

الكلمات... عقدت الدهشة لسانها وحبست الصدمة كلماتها في حلقها. وسمعت داسيه يصعد الدرج وراءها ويقول لجون: «يجب الا تسيء تفسير ما شاهدته لتوك، يا ثريكارل. كنا نتحدث، ليس الا».

«يبدو، حسبما رأيت، انه كان حديثاً... ممتعاً جداً». كان جون كالبركان الذي سيثور خلال لحظات حارقاً ومدمراً. وعندما شاهدت في عينيه الباردتين القاسيتين نظرات الاحتقار والشماتة، تراجعت بطريقة لا شعورية الى الوراء وكأن غريزتها دفعتها الى طلب الحماية من داسيه. واثارت تلك الخطوة المزيد من السخرية اللاذعة في لهجة جون، اذ قال:

«اذا كنتما تريدان القيام بالمزيد من هذه الأعمال المثيرة، فمن الأفضل ان تتم حيث لا يمكن لي او للعاملين في خدمتي ان نشاهد كافة التفاصيل. ام ان علاقتهما بلغت مرحلة لم يعد معها بإمكانكما السيطرة على مشاعركما؟»

شهقت تينا وصرخت بوجهه محتجة على الاستتاج الذي توصل اليه:

«جون! كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا الكلام؟ الا اقبل ان توجه الي اتهامات على هذا النحو... وبخاصة ان لا اساس لها من الصحة!»

اقترب منها وقال لها، فيما كانت عيناه تققدحان شرراً: «يا عزيزتي، انت لست اجتماعية الى مثل هذه الدرجة من الارتياح والسرور... حتى مع زوجك. رباه، الوضع معي هو عكس ذلك تماماً! اليس كذلك؟»

آلتها سخرته وردت عليه كحيوان صغير اصيب بجراح ثاخرة:

«لسنا جميعاً ممن يريد اقامة علاقات غرامية وعاطفية مع اشخاص اخرين. ولذلك فلا تحكم علي وفقاً لمعاييرك ومقاييسك».

حلق بها بقسوة ومرارة فيها غابت الدماء من وجهه. ثم امتدار بسرعة وتوجه الى البيت. كاد يقع وكان رجله اليسرى خائفة وضعت امام حملها. اطلقت تينا صرخة الم وهمست لداسييه: «لم... لم اكن اعني ما قلته له».

امسك داسييه بمرفقيها وقال لها بحنان ظاهر: «يا صغيرتي المسكينة، ماذا يمكنني ان اقول كي اساعدك؟ انك تحبين رجلاً لا تزال جراح قلبه القديمة تنزف!».

تنهدت وقالت: «لا ادري ما اذا كان بالامكان استخدام كلمة حب. اني اشعر بعذاب جهنم على الارض».

«اذا كان زواجك غير طبيعي فيمكن ابطاله. يمكنك ان تطلبي الطلاق».

«اعرف. نعم اعرف، يا داسييه. واسمح لنفسني بالقول ان الطلاق قد يحدث».

«تعالى معي الآن، فمن الواضح مما شاهدته في زوجك انه رجل عصبي المزاج الى درجة الشراسة. وانا اخاف منه عليك، يا صغيرتي الجميلة».

ومع انها احست بأن زوجها كان غاضباً بما فيه الكفاية كي يقتلها، الا ان اخلاصها الذي هو جزء من حبها له حملها على القول:

«اوه، لا اظن انه سيفضربني».

«لم اكن افكر بالضرب، يا عزيزتي».

«انك تشير الى زوجته الاولى، اليس كذلك يا داسييه؟ صحيح انها توفيت في ظروف غريبة الى حد ما، ولكن لا يمكن تحميل جون... اللوم كله. اعتقد انك تصغي كثيراً لبولا ومعلوماتها المشوهة».

اجابها بهدوء:

«بولا تحكي وانا اسمع، ولكني انا الذي اتوصل الى النتائج والاستنتاجات. واقول لك ان جوانا انتحرت وان اصدقاء العائلة اخفوا الحقيقة».

ردت عليه تينا بانفعال واضح:

«وهل قالت لك بولا ايضاً ان جون نفسه كاد يقتل في تلك الحادثة؟».

لماذا طلب منها جون في الليلة الاولى لوصولها الى سانت مونيك ان تمنحه السلام والطمأنينة، والا تتعب نفسها بالتشكك بهذه المرأة او تلك لماذا اوحى لها رالف بأن جوانا كانت تحب التملك الى حد غير طبيعي؟ لماذا قالت لها دانا كورتي ان جوانا لم تقبل ان يمضي زوجها نصف وقته معها والنصف الآخر في عمله؟ هل عليها ان تستخلص من ذلك كله ان جوانا لم تكن تريد ان يشاركها بزواجها اي شخص او اي شيء... في اي وقت. وشبهت ثم قالت بأسى وانفعال:

«من المؤسف جداً ان جوانا وبولا حاولتا تملك زوجي وتمزيقه ارباً فيما بينهما كلبوتين شرميتين!».

ثم نظرت الى قصر الماء الأزرق بمحبة وحنان. ارادت ان تركض نحو جون لتمنحه كل ما لم يجده في بحثه عن الحب...

«تريدون ان تهرعي اليه مرة اخرى... كالفراشة الى النار. هذا هو الحب... انه ألم لا يمكننا الابتعاد عنه».

وابعد يديه عن كتفيها مضيقاً.

«اذهي اليه يا صغيرتي، وحاولي ان تعيدي المياه الى مجاريها. واذا كنت بحاجة الى... الى صديق، فسوف اكون بانتظارك في الفندق».

ابتسمت وقالت له بامتنان ظاهر، فيما كانت ترتدي معطفها:

«شكراً لك، يا داسييه. سأراك في وقت لاحق».

ابتعدت عنه... عن ذلك الرجل العملاق الذي لم يؤذها... وربما احبها. لم تكن تأمل كثيراً في تحقيق اي نجاح مع جون، ولكنها تحبه... وستقول له انها تحبه. واذا ظل مصراً بعد ذلك على ذهابها، فانها ستعوض على جرحها وتذهب. دخلت البيت وركضت نحو غرفة نومها. وقفت في منتصف الغرفة وحبست انفاسها عليها تسمع حركة او صوتاً في غرفة زوجها... وعندما تأكد لها انه ليس في غرفته، استحممت وارتدت فستاناً حريرياً ثم توجهت الى قاعة الطعام. ولما فتحت الباب وتبين لها ان طعام الغداء معد لشخص واحد، احست بانزعاج كبير. قرعت جرس الخدمة... وعندما دخل رئيس الخدم كادت تبكي فرحاً. فالاشباح لم تسيطر بعد على المنزل والعاملين فيه! ابلغها الرجل المسن بهذيبه المعتاد ان السيد جون ذهب بسيارته الى مكان ما قبل حوالي نصف ساعة وطلب منه الا يعد له طعامه. ارغمت نفسها على الابتسام وقالت: «شكراً. وبالمناسبة، لا تتعب نفسك باحضار الحلوى».

حياها باحترام بالغ ثم غادر الغرفة واغلق الباب وراءه. تناولت طعامها بمفردها ثم شربت القهوة التي احضرت لها ويدأت تقطع الغرفة جيئة وذهاباً... حائرة وحزينة... وغاضبة. كانت متأكدة من انها اذا اتصلت هاتفياً بمنزل رالف فان شكوكها سوف تتحقق. سيقول لها رالف ان جون حضر الى منزله واخذ معه بولا الى الحقول. اليس هي المرأة التي لجأ اليها في السابق عندما ساءت علاقته مع زوجته الأولى؟

ووجدت تينا نفسها تسير نحو الغرفة ذات السقف الزجاجي، وكانت كأنها تمشي في نومها. واستيقظت فجأة امام الباب فيما كانت تفتحه وتدخل تلك الغرفة التي يمضي فيها زوجها ساعات طويلة كل يوم. تركت الباب مفتوحاً ثم تقدمت الى طاولته وراحت تتحسس الادوات التي كان يستخدمها ذلك الصباح. ومدت يدها الى قطعة القماش المبللة التي تغطي التمثال الذي يعمل عليه منذ عودتها من

بربادوس. لم يذكر لها ما اذا كان تمثال امرأة او رجل. وعندما كانت تساله عن التمثال، كان يبتسم ويقول لها ان عليها الانتظار حتى ينتهي من صنعه. رفعت الغطاء بيد مرتجفة وحدقت بما كان تحته. ومن خلال الدموع الحارة التي ملأت عينيها، شاهدت تمثال فتاة يتلاعب الهواء بشعرها الجميل. كان تمثالاً جميلاً، ليس لان صاحبه جميلة ولكن لان جون... الفنان المبدع... حولها من فتاة عادية جداً الى شابة مفعمة بالامل... بالوعد... بالحياة...

«او، جون!»، همست باسمه باكية وهي تنظر الى الفتاة التي وجدها جون وارادها... ثم اضاعها في الزوجة التي كانت تعترض على عناقها ومغازلتها. انها فتاة الشاطئ التي التقاها جون للمرة الأولى في تشوري! ولكن لماذا لم يخبرها؟ لماذا لم يقل لها انه... واستدارت شاهقة عندما سمعت صوت اقدام وفاحت في الغرفة رائحة عطر جميل غالي الثمن.

«هل اخفئك، يا عزيزتي؟ انك تنظرين الى الآن وكأنني شبح مخيف. كان الباب مفتوحاً و...»
وتوقفت بذهول عندما وقع نظرها على التمثال الذي لم ينته بعد لتينا.

«اذن، كنت تقفين امامه كي يصنع لك هذا التمثال؟»
«لا، لا! كان يستعين برسوم اعدتها قبل ذهابنا الى بربادوس».
«انها قطعة رائعة، اليس كذلك؟ قد تكون احد افضل اعماله الفنية».

ومدت بولا يدها نحو التمثال فاحست تينا بالخوف عليه وتحركت بسرعة لحماية هذا العمل الذي لا يقدر بثمن.

«ابتعدي عنه! مسترك فيه اصابعك آثاراً قد تشوهه!».

ضحكت بولا بشيء من التهكم وقالت:

«او، كم انت حساسة وعصبية المزاج! هل تظنين بانني الحق الأذى بأي شيء يخص جون؟».

لم تتمكن تينا من السيطرة على انفعالها، فاجابتها بحدة:
«اعتقد انك تضعين قواعدك الخاصة بك غير آبهة بالنتائج،
وبغض النظر عن يتأذى او يتألم».

«حقاً؟ انني لا اعجبك يا تينا، اليس كذلك؟ اذن يجب ان تعلمي
ان هذا الشعور متبادل. هكذا تكون عادة مشاعر عدم الاعجاب،
في حين ان الحب والكراهية مرتبطان ببعضهما. فما يفصل بينهما دقيق
للاغاية، حتى اننا احياناً لا نعلم ما اذا كنا نحب هذا الشخص حتى
الجنون او نكرهه الى درجة مماثلة. انا مثلاً لا يعجبني العسل او
اللبن، وكذلك جون. ولا اعجب في انه اصبح يمل منك كثيراً بعد ان
ذاق حلاوتك الظاهرة ليكتشف لاحقاً مرارتك الباطنية».

ونظرت مرة اخرى الى التمثال ثم اضافت قائلة:
«كنت غبية جداً عندما تزوجت جون. انه يكبرك بحوالي سبعة
عشر عاماً ولم يعد مثلك ذلك المراهق الذي تشبهه عناقات يتبادلها مع
الحبيبة في ضوء القمر. وكذلك... لا، ربما يجب الا اكون صريحة
الى هذه الدرجة... ما لم تكوني راغبة في الاطلاع على كافة
الأمور».

«اعتقد ان من الأفضل كشف مشاعرنا الحقيقية، وبصورة
نهائية».

مشيت بولا في تلك الغرفة الفسيحة ووقفت لحظة امام ذلك
التمثال الذي لا وجه له بعد، ثم استدارت نحو تينا وقالت
لها:

«انت فتاة بسيطة، تلميذة مدرسة، وليس لديك شيء تقدمينه
لرجل مثل جون».

«تزوجني، اليس هذا كافياً؟».

«او، ايتها المسكينة! لم تسمعي الاسطورة اليونانية التي تقول ان
هناك حباً حقيقياً واحداً لكل رجل وامرأة؟ انت تعرفين ان هذه
حقيقة واقعة، وتعلمين ان جميع العقبات في العالم لن تحول دون

عودتهما الى بعضهما في النهاية. انت طلبت الصراحة، وعليه فسوف
اكون صريحة معك الى ابعد الحدود. جون يحبني انا، وست زيجات
لن تبعده عني».

شعرت تينا بان رجلها لم تعودا قادرين على حملها. اصفر وجهها
واحست بان قلبها يتحرق المأ. سألتها بتأثر واضح:
«ولكن... لماذا تزوجني؟».

«الجواب بسيط للغاية. فعلى الرغم من تلك المظاهر القاسية التي
تبدو عليه، فهو انسان ذو عقلية قديمة ومرتمة بعض الشيء. انه لا
يجب اقامة علاقات غرامية، وبالتالي فقد كان بحاجة لسوط يضربني
به. انه يلومني، يا عزيزتي السخيفة المسكينة، لوفاة جوانا. انا
بالطبع غير مسؤولة ابدا عما حدث لها، ولكن تشككه شكل حاجزاً
بيننا طوال هذه السنوات. الحق في الافى مرات عديدة وبأساليب
متعددة... هذا هو الحب! اذا كنا نخشى الأذى، فعلينا الا نلعب
بالنار. ولكن... من منا يقدر على الاقتراب من السنة اللهب
الجميلة، الا الجريء والشجاع؟».

ثم ابتسمت وازدادت بخيبت واضح:

«انت تعرفين ان داسييه معجب بك الى حد كبير، وهو اكثر ثراء
من جون. فلماذا لا تذهبين معه؟».

«لأنني، بكل بساطة، لا اريده. انا احب جون، يا آنسة
كاريش».

«شيء مؤسف حقاً. سمعت ان لدى داسييه منزلاً رائعاً في
مارتينيك، وانت تناسبينه اكثر مما تناسبين جون. فزوجك رجل
معقد، مزاجي، صعب، وشيق. الا قرين بنفسك ان جون وانا
تناسب بعضنا كثيراً؟».

هزت تينا رأسها بتعب وأسى وتطلعت حولها وهي تسأل
باكية:

«ابن هو جون الآن؟».

«اني هنا، يا عزيزتي».

لا، لا يمكنها ان تتحمل المزيد... لن تتمكن من مواجهتهما والاستماع اليه يقول لها انها ستخرج ويولا ستحل محلها. هرعت الى الباب، فوقف امامها بمنعها من الخروج.

«اتركني، دعني اذهب! اخبرتي بولا كل شيء... فلا داعي لاي حديث آخر».

«اعتقد ان هناك اشياء كثيرة يجب التحدث بشأنها، يا حبيبتي».

حبيبتي! كادت تهوي على الأرض من جراء هذه الصدمة، ولكنه طوقها بذراعه وضمها اليه فيها كان يقول لبولا بلهجة قاسية:

«كنت واقفاً في الخارج استمع بذهول الى اكاذييك المزعجة. لولم اصغ لرالف بعض الوقت، لكان بإمكانك على الأرجح ان تنجحي مرة أخرى. انه يعرفك على حقيقتك، ويعرف انك كذبت على جوانا عن تلك العلاقة الغيبية التي اقمتهامك... والتي ندمت عليها منذ ذلك الحين... والتي لم تكن العلاقة الغرامية المطلوبة بالنسبة لك. لم احبك آنذاك... ولا احبك الآن. ومهما كان ذلك الشيء الذي جذبني اليك، فانه مات وزال منذ سنوات. مات... عندما ماتت جوانا».

حدقت به بولا بعينين تقدحان شرراً كعيني غمرة متوحشة. وفجأة كالت له كلمات تدل على الكراهية... الكراهية وليس الحب. وبعد ان صبت عليه جام غضبها لبضع دقائق، خرجت من الغرفة واغلقت الباب وراءها بعنف وشدة. ارتعش جسم تينا، التي كانت تطوقه بذراعيها وكأنها تريد حمايته من تلك الانسانة اللعينة الحاقدة. وعندما نظرت اليه، ابتسم بمحبة وحنان وقال لها بهدوء:

«انا حقاً شخصان غريباً الاطوار! يجب كل منا الآخر حتى الجنون، ولكننا نخشى الافصاح عن حبنا خوفاً من الصدمة... من رد الفعل السلبي».

«لهذا السبب كنت غاضباً الى تلك الدرجة صباح اليوم؟».

«كنت اريد ان اطيح برأس ذلك الرجل الوسيم من على كتفيه. كان... كان منحنيّاً فوقك وكنت كالنعجة... لا تشدين شعره ولا تحاربينه كقطعة صغيرة متوحشة...».

قاطعته همساً:

«جربني الآن!».

امسكها بقوة وشدها اليه بعنف، وكأنه يريد لها ان تصبح قطعة منه. تأملت جسدياً... ولكنه كان ذلك الألم الذي ترحب به وتتمناه. انه يحبها حباً صادقاً وصحيحاً. ارادت ان تقول له انها... ولكنه خنق الكلمات بعناقه الحار. تنهدت وابتعدت رأسها عنه، ثم دفنت وجهها بين كتفه وعنقه وهي تردد اسمه بمحبة. حملها بين ذراعيه ونزل بها الى القاعة. وفيها كانا يشربان القهوة التي احضرها رئيس الخدم بسرور بالغ، تحدثا عن جوانا.

«كنت احبها في البداية. كانت جميلة الى ابعد الحدود... كحللم رائع يتحقق. ولكن الحلم تحطم عندما افقت من رقادي واكتشفت الحقيقة. الحب هبة وليس تملكاً. الحب شعور يمنحه الانسان بملء ارادته... انه ليس شيئاً يؤخذ او يفرض بالقوة... ومن المجزن جداً ان جوانا كانت تريد على ذلك النحو».

توقفت لحظة وهو لا يزال ممسكاً بيد تينا، ثم اضاف قائلاً:

«اعتقد ان ليزا ستكون على ما يرام. انها مثلي».

«انها مثلك تماماً، يا جون».

حضن وجهها بين يديه القويتين وقال لها بوداعة واضحة:

«اني احبك... احبك جداً، يا تينا. هل تعرفين ذلك؟ تأملت كثيراً تلك الليلة التي رفضتني فيها! شعرت بأنك تحسبن بالاشمئزاز كلما لمستك او اقتربت منك!».

«كنت اريدك ان تحبني... ان ترينني... لنفسي! لم اكن اطيع

التفكير بأنك تجعل مني بديلاً لشخص آخر».

«لبولا؟».

ثم ضمها الى صدره بحنان ظاهر وقال لها:
«سوف نترك سانت مونيك وصديقتنا بولا. سوف ابيع البيت
والحقول والمعمل، ونعيش في بربادوس. ستكون قرب ليزا وسنجيا
بسعادة وهناء».

سألت هانسة وهي تكاد تذوب بين ذراعيه حباً وهياماً:
«ومتى قررت ذلك؟».

«بعد ان شاهدتك على الشاطئ مع ذلك الفرنسي داسيه.
قلت السيارة بسرعة جنونية واخذت اردد لنفسي بأن هذه الجزيرة
هي مصدر آلامنا واحزاننا. ذهبت الى رالف لاستشيريه في هذا
الموضوع، فوافقني من صميم قلبه. اليست خطة جيدة، يا
حبيبي؟».

«انها خطة رائعة».

وعندما تمكنت من فتح فمها، قالت له بهدوء:
«قبل ان ينسبني الحب كل شيء، اريد ان اعتذر لك عن تلك
الكلمات القاسية التي قلتها لك صباح اليوم على الشاطئ». لم اكن
اعني اياً منها».

ابتسم بحنان وسرور وقال:

«كنت تعنين كل كلمة قلتها ايها الغشاشة الصغيرة...
والاعتذار وحده لا يكفي لارضائي».

ضحكت وقالت بمحبة ودلال:

«وماذا تريدني ان افعل لأرضيك؟».

«سأفكر بشيء ما. ستكون حياتنا سعيدة من الآن فصاعداً،
ليس كذلك؟».

«اني متأكدة من ذلك، يا حبيبي».

وضمته الى صدرها بقوة وحنان، فيما كان يداعب شعرها
وعنقها. آه، كم كانت تتمنى تحقيق هذا الحلم! ان تتأكد تماماً من انه
يجبها حباً حقيقياً... يريد لها... يحتاج اليها! نعم، سوف تكون

حياتها سعيدة مع هذا الرجل الذي تحبه... مع زوجها الحبيب
الذي لم يعد شخصاً غريباً لا يظهر اهتماماً او عطفاً لأنه لم يكن
متأكداً... من حبها له!